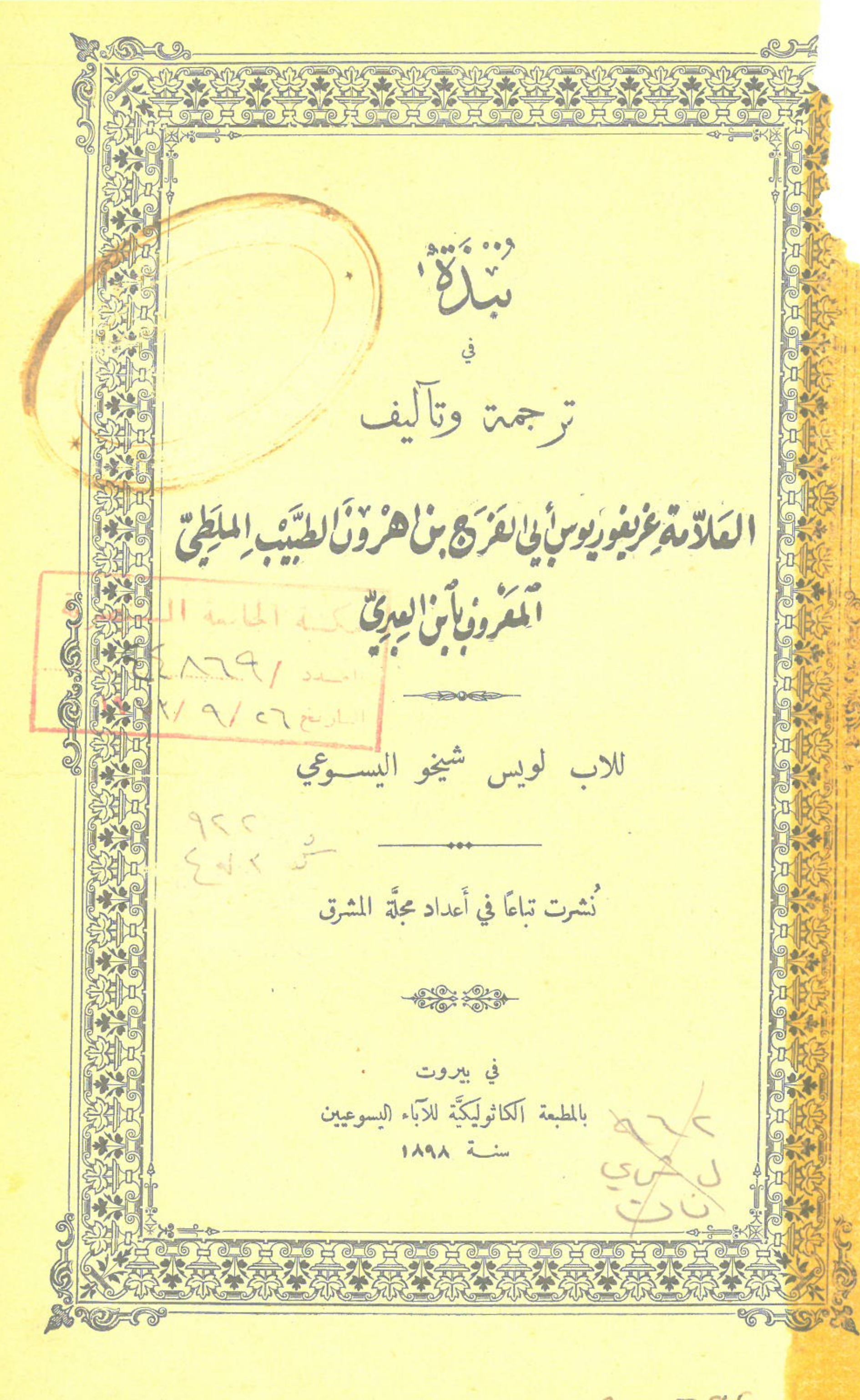


نبذة
في
ترجمة وتآليف
العلّامة غريغوريوس أبي الفرج بن هرون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري

للاب لويس شيخو اليسوعي

نُشرت تباعًا في أعداد مجلة المشرق

في بيروت
بالمطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين
سنة ١٨٩٨

(١) اكتفاء القنوع.

(٢) تاريخ نفزي.

(٣) [illegible]

(٤) [illegible] المشرق في المطبوعات

(٥) سؤال: [illegible] – [illegible]، [illegible]، [illegible]

(٦) صالحاني [illegible]، مختصر تاريخ الدول

(٧) الاستعلام [illegible]

(٨) عدد كتب. جامع المؤلفات المقتطف مجلة يناير ١٩٣٣

نبــذة

في

ترجمة وتآليف

غريغوريوس ابي الفرج المعروف بابن العبري

١

بينا كنّا سائرين في غُدْوة اليوم الرابع والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٨٩٦ مُيَمّمين الموصل ونحن على وشك دخولها اذ لاح لنا في البعد على منعطف الجبال الممتدّة من عن يميننا وشرقيَّ البلد بناءٌ واسع الارجاء استلفت منّا الابصار واستحثّ الخواطر . فظننّا لاوَّل وهلةٍ انّهُ قصرٌ قديمٌ ابتناه بعض اهل الثروة ليقضي فيهِ فصل الصيف ترويحًا للنفس . وكان في صحبتنا قفلٌ من اهلِ تلك الاصقاع فسألنا بعضَ رفقتنا عن اسم البناية وقاطنيها . فاجابنا الرجلُ وهو يعقوبيُّ النِحلَة : هذا ديرنا الشهير دير مار متّى (١ يسكنهُ رهباننا ونحن نعظِّمهُ ايَّ تعظيم لأنّ فيهِ قبر بعض علمائنا المسمَّى بابن العبريّ

---

* قد استخلصنا هذه المقالة من عدَّة كتب قديمة وحديثة نخصُّ منها بالذكر : اولًا تاريخ الكنيسة لابن العبري بالسريانيـة وهو ثلاثة اجزاء طبع في لوڤان سنة ١٨٧٢ —١٨٧٣ (ed. Lamy) . ثانيًا تاريخهُ المدنيّ بالسريانيـة الموسوم (ܡܟܬܒܢܘܬ ܙܒܢܐ) طبع في ليبسيك (ed. Bedjan). ثالثًا تاريخ الدول لهُ نشرهُ بالطبع في مطبعتنا الاب انطون صالحاني سنة ١٨٩٠. رابعًا المكتبة الشرقيَّة للسمعاني الجزء الثاني ص ٢٤٤ . خامسًا الشرق المسيحي للعلّامة لوكيان (Lequien) الجزء الثاني ص ١٤٥. سادسًا مجموع ليتورجيات اليعاقبة والنساطرة طبع في باريس سنة ١٧١٦ الجزء الثاني ص ٤٦٩ (ed. Renaudot) . سابعًا آداب اللغة السريانية طبع في لندن باللغة الانكليزية سنة ١٨٩٤ (ed. W. Wright) . ثامنًا تاريخ الطبّ العربي الجزء الثاني ص١٤٧ طبع في باريس (ed. L. Leclerc) . تاسعًا عدَّة افادات التقطناها في اثناء سفرنا الى بلاد ما بين النهرين سنة ١٨٩٦

١) قال ياقوت في معجم البلدان (الجزء الثاني ص ٦٩٤) دير متّى بشرقي الموصل على جبل

فما طرق مسامعَنا هذا الكلام حتّى ثارت فينا رغبـةٌ شديدة الى زيارة هذا الدير الجليل وقد كنّا قرأنا في تواريخ كثيرٍ من القدماء انّ اصلهُ يرتقي الى اوائل النصرانيَّة. وزادنا بغيةً في مشاهدتهِ ذكر رجلٍ طارت في الشرق سمعتهُ ولم تزل الالسن تنطق حتَّى الآن بمديحهِ. وكنّا مذ عبرنا الفرات قرب البيرة (بيره جك) لم يكد يمرُّ علينا يوم واحد دون ان نسمع لهذا الكاتب الجليل ذكرًا او نرى لهُ اثرًا محمودًا. ولكن حال دون مرامنا أنّ الطرق المؤدّية الى الدير المذكور لم تكُ مأمونةً وكان يقطعها وقتئذٍ بعض اهل الدَّعارة يعكّرون كأس الراحة والنظام العمومي. فانثنينا عن عزمنا مع الأسف على فوات الفرصة

الّا انّنا ما برحنا منذ ذلك اليوم نجمع ما امكنّا من مآثر ذلك العلّامة الفاضل وتفاصيل حياتهِ لعلّنا ننشرها يومًا بالطبع افادةً لجمهور الشرقيين وتحريضًا لارباب القلم كي يتّسموا بسمتهِ ويجارونهُ في اجتهادهِ وغيرتهِ

وقد احببنا اليوم ان نورد لمعةً من اعمال هذا الاسقف الخطير الذي يحقُّ للنصرانية ان تفتخر بذكرهِ لانهُ كساها بعلمهِ الواسع وآدابهِ مزيد هيبة ورونق. وتيسيرًا لبيان هذه الآثار رأيتُ ان اقسم هذه المقالة الى قسمين اذكر في اوّلهما ترجمة هذا الجهبذ المقدام وفي الآخر ما خلّف بعدهُ من التركة العلميَّة والتآليف الحسنة التي رفعت بهِ الى اعلى مراتب الكتّاب الكنسيين بل وجعلتهُ في مقامٍ اثير بين ادباء عصرهِ وحكماء زمانهِ

٢

لقد كفانا ابن العبري مؤونة التنقيب عن اخبارهِ بما اودعهُ في كتبهِ من تفاصيل سيرة حياتهِ الّا انّ هـذه الآثار متفرّقة في تآليفهِ العديدة يتحتَّم علينا جمع شتاتها في هذه النبذة

وُلد ابن العبري سنة ١٥٣٧ للاسكندر الموافقة لسنة ١٢٢٦ للميلاد في مَلَطية حاضرة ارمينية الصغرى على ضفّة الفرات. وكان يتولّى هذه المدينة وقتئذٍ عُمّال من قبل

شامخ يقال لهُ جبل متَّى من اشترفهُ نظر الى رُستاق نينوى والمرج وهو حسن البناء واكثر بيوتهِ منقورة في الصخر وفيهِ نحو مائة راهب. . . وبينَهُ وبين الموصل سبعة فراسخ (اه). وهذا الدير لا يزال حتَّى اليوم عامرًا بالرهبانِ وهو احد كراسي الاساقفة اليعقوبيين يُدعى ايضاً دير كُوكْتا (ܟܘܟܬܐ) عند السريان. ويسمّون الجبل دير إلِفف (ܐܠܦܦ)

بني سَلجوق ملوك الروم وهي تُعَدّ من اعظم قواعد تلك الاصقاع رغمًا عمّا دهمها من نوائب الزمان لانّ غزوات جنكزخان وقومهِ تاتار المغول كانت قد طمست جانبًا من محاسنها. ولم تزل اذ ذاك حافلةً بالنصارى يأتونها من كل فجّ لما يجدون فيها من اسباب المعاش في صحبة بني جلدتهم. وكان قد اشتهر بملطية قبل ابن العبري بزمن يسير رجلان عُرفا بين اليعاقبة بفضلهما وسعة معارفهما اعني ديونيسيوس برصليبي المتوفّى سنة ١١٧١ وميخائيل الملقّب بالكبير المتوفّى سنة ١١٩٩

وكان ابو صاحب الترجمة يُدعى أَهْرون. وليس في اسمهِ هذا ما يُشعر بكونهِ اسرائيليًّا مرتدًّا الى النصرانية او منتميًا الى أُسرة يهوديّة كما زعم الكاتب رَيت (١ فان كثيرًا من نصارى اليعاقبة يدعون اولادهم بهذا الاسم الى يومنا هذا. ولعلّ في تسمية ولدهِ بابن العبري دليلًا على ذلك لكنّنا بعد البحث المدقّق عن هذه القضيَّة وجدنا في المؤرّخين ما ينقض هذا الرأي فضلًا عمّا يؤيدهُ. فانّ العلّامة رِينُودوت ذكر في مجموع الليتورجيَّات (ص ٤٦٩) انّهُ وجد في نسخة خطيَّة من اعمال ابن العبري في باريس انهُ كان ابن اخي البطريرك ميخائيل الكبير السابق ذكرهُ وهو من اشهر كتَّاب اليعاقبة لم يكُ اهل ملّتـهِ ليرضوا بانتخابهِ بطريركًا وفقًا لقوانين الكنيسة الشرقيَّة لو كان حديث العهد بالنصرانيَّة

وكان لاهرون اولاد كثيرون توفي اربعة منهم قبل ابن العبريّ وهم ميخائيل وموفّق وقُوفو وساوير وكان طبيبًا. ولابن العبري فيهم مراثٍ ذُكرت في ديوان شعرهِ السرياني (٢ (ص ١١٨—١٢٨). وعاش بعدهُ اخٌ لهُ خامس اسمهُ برصوما صافي الذي تمّم تاريخهُ الكنسيّ بعدهُ

ودعي ابنُ العبري في المعموديّة باسم يوحنًا يشهد بذلك التاريخ السرياني المحفور على ضريحهِ في دير مار متّى (٣ واتّخذ لهُ في الكهنوت اسم غريغوريوس. ولُقِّب بابي الفرج تيمُّنًا بهذا الاسم وليس بولدٍ لهُ اسمهُ فَرَج كما ظنّ بِرْنستين في مقدّمة طبعتهِ لتاريخ الدول السرياني (ص ٣) والعلّامة بوكوك في مقدمة تاريخ مختصر الدول (ص ١). ونحن نعلم علمًا اكيدًا انّ ابن العبري لم يرتبط قطّ بسُنَّة الزواج لانَّهُ ترهّب وهو حديث السنّ كما

---

١) Syriac Literature, p. 265

٢) طبعهُ في رومية الاب اوغسطين الشبابي ١٨٧٧

٣) راجع كتاب العلّامة باذجر عن النساطرة (Nestorians, I, 97)

سيأتي · فضلًا عن انَّ الاساقفة لم يُنتخبوا سوى بين الرهبان لملازمتهم نذر العفَّة · وقد روى ذلك ابن العبريّ ذاتهُ في مجموع القوانين الكنسيَّة (الجزء الاوَّل الفصل السابع القسم العاشر) (١

وقد وهم ايضًا پوكوك بظنّهِ انّ ابا الفرج بن العبري هو ابو الفرج المدعوّ بابن الطيّب فخُدع بمشابهة الاسم مع انّ ابن الطيّب كان نسطوريًّا وتوفي قبل ابن العبريّ بنيّف ومائتين سنة (١٠٤٣ م) · واعجب من ذلك انّهُ خلط بين هذين المذكورين وكاتب ثالث اسمهُ ابو الفرج يعقوب المشهور بابن القفّ المتوفَّى سنة ١٢٨٦ · وكلُّ ذلك خطأ واضح

٣

ولمَّا كان اهرون من وجهاء قومهِ يُحسن الدروس الطبّيّة (٢ ويتعاطى العلوم الفلسفيَّة جعل يُلقّن ابنهُ يوحنَّا مبادئ المعارف البشريَّة وهو بعدُ في مُقتَبل العمر ليتشرَّب منذ نعومة اظفارهِ حبّ العلوم فيهيم بدراستها · وكان الولد ذا قريحة وقّادة تلوح عليهِ امائر الفهم والذكاء فما لبث ان احكم هذه الدروس الاوَّليَّة حتَّى اضطرّ والدهُ الى ان يدفعهُ الى ابرع اساتذة بلدهِ · فاقبل الشابّ على حفظ اللُغات الثلاث السريانيّة واليونانيّة والعربيّة وأحرز بزمن قليل دقائقها حتَّى تضلَّع بآدابها وجعل يكتب فيها جميعًا بسهولةٍ غريبة والحقّ يقال انّ تآليفهُ تنطق بلسان حالها عن براعتهِ من هذا القبيل فمن يقرأ كتبهُ بالعربية او السريانية يقضي لهُ بتمام معرفة اصول اللغتين · امَّا اليونانية فاننا نعلم طول باعهِ فيها من تعريبهِ لكتب كثير من فلاسفتها الاقدمين كارسطو وغيره

ثمَّ انكبّ على درس الفلسفة واللاهوت فلم يدع مطلبًا الَّا بحث عنهُ ولا مشكلًا الَّا حاول فكّهُ حتَّى حاز بعد سنين قليلة قصبات السبق على معاصريهِ من الشرقيين وسنرى ما خلَّفهُ بعدهُ من المآثر العلمية في هذين العلمين الساميَين · وزاد عليهما درس

١) ثم لا يخفى ان التكنّي بأبي فُلان كان جاريًا في ذلك العصر يُراد بهِ مجرَّد اللَّقب ومثال ذلك كثير خصوصًا عند النصارى كابي البركات وابي الطيّب وابي الحليم · ولا تزال هذه العادة الى يومنا في بعض انحاء سوريَّة

٢) كان لاهرون اليد الطولى في فنّ الطبّ حتَّى انّهُ كان يُعرف بالحكيم فدعي ابنهُ لذلك بابن حكيما

الطبّ مع فروعهِ المختلفة اخذ ذلك الفنّ عن ابيهِ الطبيب النطاسي وعن غيرهِ من العلماء.

وبينا كان ابو الفرج منكبًا على هذه الدروس مرتشفًا لسلافة العلوم الالهيَّة والبشريَّة اذ دوت في آذانهِ جَلَبة جيوش هولاغو ملك تاتار المغول سنة ١٢٤٢ وكانوا فتحوا بلاد الروم واخذوا عنوةً سيواس وقيساريّة فزحفت منهم فرقةٌ على ملطية يريدون نهبها وحرقها. وقد اخبر ابن العبري في تاريخ الدُّول (ص ٤٤١) ما لحق باهل البلد من الخوف والهلع عند قدومهم وذكر انَّ اباهُ اهرون حاول ان يهرب مع حامَّتهِ فعدل عن ذلك واجتمع بالمطران ديونيسيوس والَّف قلوب المسلمين والنصارى وكفّ اهل الشرّ عن الفساد. قال: «فنظر الله الى حسن نيَّاتهم ودفع العدوّ عنهم ووصلوا بالقرب من ملطية ولم يتعرّضوا لها»

لكنّ المدينة لم تسلم من شرّ التاتار في السنة التالية (١٢٤٣) فشنُّوا الغارة عليها وخرَّبوها وعاثوا في رساتيقها. وكان قائدهم يَساوِرْنوين مصابًا بداء عرض لهُ فطلب طبيبًا يداويهِ فدلَّهُ المَلَطيُّون على اهرون ابي صاحب الترجمة فاستدعاهُ القائد واخذهُ في خدمتهِ الى خَرْتَبِرت فعالجهُ اهرون حتى برأ. قال ابن العبري (تاريخ الدول ص ٤٤٦): «ثم جاء ولم يُطل المقام بملطية ورحل بنا الى انطاكية فسكنَّاها»

وكانت وقتئذٍ انطاكية من أُمَّهات المدن تُعتبَر كاحدى قواعد المشرق وعواصم الثغور الشاميَّة موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير(١. وهي لم تزل بعدُ في يد الفرنج يتولَّاها ملوكهم منذ سنة ١٠٩٨. وكان صاحبها يوم دخلها اهرونُ وابنهُ بُوهِيمُونْدَ الخامس وهو يدعى امير انطاكية وطرابلس مَلَكها منذ سنة ١٢٣٣ الى نحو سنة ١٢٥١. وكانت انطاكية من احصن مدن الشام يحميها جبلها ونهرها العاصي وتحفُّ بها عدَّة بروج. قال العيني في كتاب عِقد الجُمان يصفها في ذلك العهد(٢: انَّ دَور سور انطاكية اثنا عشر ميلًا وعدد بروجها مائة وثلاثون برجًا يعلوها اربعة وعشرون الف شُرفةٍ (اه). وكانت نصارى جميع الطوائف تتقاطرت اليها لحرازتها هربًا من غزوات التاتار وغارات ملوك خوارزم وطلبًا لاسباب المعاش فيرتعون بظلّها في بجبوحة الأَمن والسلام.

---

١) معجم البلدان لياقوت الجزء الاول ص ٣٨٢

٢) Hist. Orientaux des Croisades I, 1, p. 228

وكانت تجارتها واسعةً يقصدها تجار العراق وما بين النهرين والشام برًّا وترسو في ميناء فُرْضتها السُّويديّة المراكب ناقلة اليها بضائع الغرب وأمتعتها الفاخرة. وكان عدد نفوسها ينيف على مائة الف بين فرنج وسوريين وروم وارمن ومسلمين ويهود. وكان في وسط البلد كنيسة كبيرة بُنيت في ايّام يستنيان على اسم الرسولين بطرس وبولس تُعدّ من عجائب الدنيا وهي مقام بطريرك لاتينيّ يجلس فيها على كرسيّ من الرُّخام الابيض البديع الصُّنع كُتبت عليهِ آيات الانجيل بالحرف الكوفيّ وهو اليوم محفوظٌ في البندقيَّة

وكان بطاركة اليعاقبة اتخذوا لهم في انطاكية دارًا واسعةً بناها اغناطيوس الثاني سنة ١٢٣٧ بقربها كنيسة طائفتهِ الكاتدرائية على اسم الرسول الحبيب ولهم فيها ما عدا ذلك ثلاث بِيَع الواحدة مشيَّدة على ذكر السيّدة والثانية بيعة الشهيد جرجس والثالثة كنيسة برصوما وكان للارمن رئيس اساقفة يسكن انطاكية. امَّا بطريرك الروم الانطاكي فكان مقامهُ اوَّلًا في القسطنطينية يتردّد من وقت الى آخر على رعيَّتهِ. ولهُ في انطاكية كنيسة كاتدرائية. ولمَّا كانت زلزلة سنة ١١٧٠ خربت الكنيسة وكان من جملة القتلى البطريرك نفسهُ. وفي سنة ١٢٤٠ خضع البطريرك داود للحبر الروماني فسكن انطاكية (١

٤

فما كاد يصل اهرون واهلهُ الى انطاكية ويستقرُّ بها قرارهم حتَّى اخذ ابنهُ يتردّد على علماء البلد ليجني منهم ما امكنهُ من الآداب والمعارف وعمرهُ اذ ذاك لم يتجاوز ثمانية عشرة سنة. وكانت علومهُ تزيدهُ زهدًا في الدنيا وملذّاتها فاستأذن اباهُ بهجر العالم لينقطع الى النسك والانفراد. فخرج الى جبل بجوار انطاكية واختار لهُ هناك مغارةً تجرَّد فيها لاعمال التقوى والعبادة والشغل بالدرس. الَّا انَّ صيتهُ انتشر في تلك الاصقاع وعلم بسكناهُ البطريرك اغناطيوس فاحبّ ان يزورهُ في منسكهِ وينشّطهُ في إتمام قصدهِ. وقد لمَّح ابن العبري الى هذه الزيارة في بعض قصائدهِ السريانيَّة

وبقي ابن العبري ملازمًا لطريقة النسَّاك سنةً فقط. ثمَّ خرج الى طرابلس الشام قاصدًا يعقوب احد مشاهير النساطرة الذي كان يدرّس فيها العلوم الادبيّة والرياضيّة والطبيّة فتتلمذ لهُ عاكفًا على تحصيل ما فاتهُ سابقًا من فوائدها وتعارف هناك باحد وجهاء ملّتهِ

(١ Rey : *Colonies Franques en Syrie* 89 et 325-328

اليعقوبيّة اسمهُ صليبا وَجيه بن يعقوب من اهل الرُّها. وكان كلاهما مشغوفًا بعلوم الاوَّلين يتباريان في اقتباسها كفرسي رِهان ويجريان في عِنانٍ فاشتغلا مدّةً على المعلم النسطوري المنوّه بذكره حتّى برعا في آدابهِ وبرَّزا

فسَمِع البطريرك اغناطيوس سابا ما احرزهُ الطالبان من كنوز المعارف فاستقدمهما الى انطاكية ورقَّاهما كليهما درجة الاسقفية في يوم عيد الصليب سنة ١٢٤٦ وعهد الى صليبا شؤُون كنيسة اليعاقبة في عكّة الّا انّهُ لم يدخلها فنُقل الى كرسي حلب وتسمَّى باسيل وسيأْتي ذكرهُ آنفًا (١

امَّا ابن العبري فوكل اليهِ البطريرك رعايةَ بني ملّتهِ في جُوباس وهي مدينة صغيرة من اعمال مَلَطية. ولم يكن اذ ذاك عمر ابي الفرج يتجاوز العشرين سنة وذلك بلا ريب من غرائب الامور يناقض سُنَن الاباء الذين لم يرضوا لهذه الدرجة الّا كهولًا في تمام السنّ مزدانين بكلّ الفضائل والصفات الحسنة. الّا انّ النساطرة واليعاقبة كثيرًا ما نبذوا هذه القوانين ظهريًا وتعدَّوها. وعلى كلٍّ فانَّ ترقية ابن العبري تُبيّن ما كان يبنيهِ رئيسهُ عليهِ من الآمال لخير شيعتهِ وهو في ريعان شبابهِ. وسنرى كيف حقّق الاسقف الجديد آمال بطريركهِ

٥

فما كاد ابن العبريّ يتبوَّأ منصبَهُ هذا الجديد حتَّى جعل يُفرغ اقصى ما لديهِ من الهمّة لاصلاح امور رعيَّتهِ. على انّهُ لم يستقرّ بجوباس زمنًا طويلًا ليحصد ما زرعهُ في القلوب من البذر الجيّد فلمَّا كانت السنة التالية (١٢٤٧) قدَّم اهرون اسقف لاقابِين الاستعفاء من كرسيه وانتقل الى بيت المقدس ليقضي فيهِ باقي حياتهِ في الخلوة واعمال النسك فوجَّه البطريرك اغناطيوس سابا نظرهُ الى ابن العبري ليقيمهُ خلفًا للاسقف المتنازل

فلبَّى ابن العبري الى دعائهِ واستوطن لاقابين وهي بلدة تجاور جوباس وصرف همَّتهُ الى خير هذه الحظيرة الجديدة فادار شؤُونها بغيرة ونشاط مواصلًا السعي فيما يعود على ابناء ابرشيتهِ بالمنافع العميمة. وكانت مدّة جلوسهِ على كرسي لاقابين خمس سنواتٍ بالغ بالجدّ وراء مصالح رعيَّتهِ

١) راجع التاريخ الكنسيّ لابن العبريّ الجزء الثاني ص ٦٦٧ — ٦٧٠ (ed. Lamy)

وفي تلك الاثناء مات البطريرك اغناطيوس وليّ نعم ابن العبري (سنة ١٢٥١) فحدث بعد وفاته شغب وشقاق في الملّة اليعقوبية وانقسم القوم الى حزبين اختار احدهما بصفة بطريرك ديونيسيوس (اهرون عنجور) اسقف ملطية وتعصّب الآخر للمفريان يوحنا ابن المعدني وله قرّ الفرنج في انطاكية . وكان ابن العبري منتصرا لديونيسيوس على ابن المعدني ولم يزل يعضد امرهُ ويؤيد سلطانهُ الى ان قُتل ديونيسيوس في شباط من سنة ١٢٦١ قتلهُ في الكنيسة بعض انصار خصمهِ فصار الامر كلهُ لابن المعدنيّ وعاد السلام للملّة بعد استنهار الفتق (١

وكان ديونيسيوس مكافأةً لما اظهرهُ لهُ ابن العبري من الوداد وقدّمهُ من الخدم رقّاهُ الى اسقفيّة حلب . وكان كرسي حلب قد خلا في سنة ١٢٥٣ بارتقاء صاحبهِ باسيل (صليبا) بن يعقوب وجيه الى رتبة مفريان باسم اغناطيوس . قلّدهُ ايّاها ابن المعدني فعيّن لهُ خلفًا في حلب متّى الجوميّ . لكنّ ديونيسيوس قرن ابن المعدني ارسل ابن العبريّ ليزاحم متّى المذكور في منصبهِ فصار اسقفان لكرسي واحد

وسمع المفريان اغناطيوس (صليبا بن يعقوب وجيه) بما فعل ديونيسيوس وكان هو متشيّعًا لابن المعدني فقدِم حلب واخذ يعاكس ابنَ العبري قرينهُ السابق في الدروس الطبّيّة والفلسفيّة واعتضد عليهِ بالملك الناصر صاحب حلب فاضطرّ ابو الفرج ان ينقطع عن الامور ويختلي في بيت ابيهِ وكان ابوهُ يسكن حينئذٍ حلب . ثمّ عاد ابو الفرج الى ملطية ونزل عند البطرك ديونيسيوس في دير برصوما

وبعد هذه الامور بسنة شخص ابن العبري الى السلطان في دمشق يطلب منهُ براءة لديونيسيوس عنجور مع حمايتهِ على المفريان فاكرم الملك الناصر وفادتهُ وسلّط ديونيسيوس على يعاقبة المشرق كما كان عزّ الدين صاحب الروم سلّطهُ قبلًا على المغرب وكتب الى صاحب حلب ليأخذ بساعد ابن العبريّ ففعل وسلّمهُ كنيسة اليعاقبة واستبدّ الاسقف برعاية ملّتهِ فيها . فخرج المفريان اغناطيوس من حلب مغضبًا ومرّ الى الفرنج وسكن

---

١) راجع تفاصيل هذا الشقاق في تاريخ الكنيسة لابن العبري الجزء الاول (ص ٦٩٥ — ٧٤٨) ويظهر من معرض كلامهِ انّ ديونيسيوس عنجور كان يطمح بالبصر الى المرتبة البطريركيّة وانّ انتخابَهُ لم يكُ مطابقًا للقوانين البيعيّة . ولا غرو انّ ابن العبري انحاز اليهِ لانّهُ كان سابقًا اسقف وطنهِ ملاطية محسنًا اليهِ والى والدهِ اهرون

طرابلس متعاطياً فنّ الطبّ الى وفاتهِ سنة ١٢٥٨ . قال ابن العبريّ في حقّهِ: « انهُ كان متقناً للطبّ عارفاً بعلوم القدماء لاسيَّما الفلسفة واحتفل بجنازتهِ قومٌ كثير من رهبان الفرنج وكهنتهم وكان كتب لكنائسهم واديرتهم بقسم من مالهِ (١) » وبقي كرسيّ المفريانيّة خالياً بموتهِ ستّ سنين

ولمَّا اجتمع شتات الملّة بعد وفاة ديونيسيوس كما سبق ادَّى ابن العبري فروض الطاعة الى يوحنَّا بن المعدني وحظي عندهُ حتَّى انَّهُ فكَّر في ترقيتهِ الى منصب المفريان واجهر بذلك فحال الموتُ دون تتميم رغبتهِ. وكانت وفاة ابن المعدني في سنة ١٢٦٣

ولابن المعدنيّ تآليف حسنة بالسريانية والعربية منها كتاب نافور وديوان شعر بالسريانيّة وثماني عشرة خطبة بالعربيَّة وكلُّها محفوظة في خزائن الكتب الشرقيّة باوربَّة لاسيَّما مكتبة الفاتيكان. ولهُ ايضاً مقالة بالعربيّة في التعزية مصونة في مكتبة اكسفرد(٢). وكان اصله من قرية مَعْدِن وتولَّى اسقفيّة ماردين

ولابن العبريّ في حلب آثار تنطق عن همَّتهِ في صالح آل ملّتهِ فانَّهُ لمَّا رأى كثيرين منهم تقاطروا الى حلب بسبب الحروب والفِتَن وبلايا ذلك العصر صمَّم النيَّة بتشييد مأوًى رحب بجوار الكنيسة لإيواء غرباء اليعاقبة . فتكلَّف على هذا المشروع تكاليف جمّة حتّى انجزهُ (٣)

وممَّا حدث لابي فرج في مدَّة اقامتهِ على كرسي حلب ما اخبر بهِ عن دخول المغول في هذه المدينة سنة ١٢٥٨ . وكان هولاغو قائدهم فتح بغداد عنوةً وقتل الخليفة المستعصم بالله وازال الدولة العبَّاسيّة. ثم تقدَّم الى جهات الغرب مع جيوشهِ الظافرة وهو ينهب في طريقهِ ويحرق ويسبي الى ان وصل حلب فخرج ابن العبريّ اليهِ يستعطفهُ لاهل ملّتهِ ولكنَّ شفاعتهُ لم تُجدِهم نفعاً لانَّ الجند كانوا فتحوا البلد وانتشروا في كل انحائهِ واعملوا السيف في السكَّان. وجاء في تاريخ الدول (ص ٤٨٧) انَّهُ قُتل في حلب اكثر ممَّا قُتل في بغداد

---

١) Barhebræi *Chronicon Eccl.*, III, 427

٢) Wright, *Syriac literature*, 263-265 — Ibid. II, 707-743

٣) *Chronicon* III, 482, 17

٦

واجتمع اساقفة اليعاقبة بعد وفاة ابن المعدني ليختاروا لهم بطريركًا وكان اجتماعهم في دير الجويقات قرب المصّيصة من اعمال قيليقية فاقاموا باتّفاق الاصوات يشوع رئيس دير الجويقات المذكور فساموهُ في سادس كانون الثاني من سنة ١٢٧٤ وتلقّب باسم اغناطيوس الثالث ثمّ اهتمّ البطريرك الجديد مع الاساقفة المنتخبين بنصب مفريانٍ على المشرق يخلف لاغناطيوس بن يعقوب وجيه المارّ ذكرهُ فوقع الاختيار على ابي الفرج بن العبري وكان مرشّحًا لهذه المرتبة منذ زمن طويل كما سبق

ولم يتولَّ غريغوريوس ابو الفرج منصبهُ الجديد الّا بعد ذلك بايّام وكان البطريرك والاساقفة شخصوا الى سيس لتقدمة مراسيم الخضوع لهَيتوم (حاتم) ملك قيليقية فصار هناك حفلة عظيمة حضرها الملك واولادهُ واعيان دولتهِ مع رؤساء اكليروس الارمن وجمّ غفير من الشعب فقُلِّد ابنُ العبري رتبةَ المفريان بابّهة وشرف لا مثيل لهما في ١٩ كانون الثاني. وتسنّم المفريان المختـار منبرَ الخطابة والقى امام جمهور الحضور خطبة نفيسة عن رئاسة الكهنوت افتتحهـا بقولهِ تعالى في المزامير (١٣٨ : ٥) : « انت يا ربُّ قد احطتَ بي وجعلتَ عليَّ يدك » . وكان ذلك اليوم نهارًا مشهودًا [١]

ولعلّ القرّاء يفكّرون في ما عسى تكون هذه الرتبة الغير الشائعة في بلادنا فيسألون عن معنى كلمة المفريان وعمّا تخوّلهُ هذه المرتبة لصاحبهـا من السلطة. فاعلم ان المفريان لفظة سريانية اصلها من فعل فرا (ܦܪܐ) اي نَمَا وأتى بثمر. فيكون وزن فَعَّل منهُ فَرِي (ܦܪܝ) اي أثمر وأولد. واسم الفاعل مَفريانا (ܡܦܪܝܢܐ) وهو المُولّد والمُثمر. فلمّا انتشرت الشيعة اليعقوبية في أنحاء المشرق وكان بطاركتهم بعد ساويروس اتخذوا كرسيّهم انطاكية رأوا انّهُ لا بُدَّ للبطاركة من نائبٍ يقوم في بلاد العراق وبابل ونواحي ما بين النهرين الشرقيّة بامور ملّتهم ويدافع عن حقوقهم في وجه النساطرة عنـد ملوك العجم فوضعوا رتبة المفريان يريدون بذلك انّ صاحبها يثمر للكنيسة ليس ابناء فقط كسائر الاساقفة

١) راجع تاريخ الكنيسة لابن العبري الجزء الثاني (ص ٧٥٠ – ٧٥٢)

بل آباء روحيين ورؤساء . وكان اوّل ما وُضعت هذه الرتبة في القرن السادس في ايّام يستنيان الملك وهي لم تزل شائعة عند اليعاقبة الى يومنا . ومن جملتهم كان في سنة ١٨٢٨ البطريرك انطون سمحيري الطيّب الذكر قبل رجوعهِ الى الكثلكة

وكان الاساقفة ورؤساء الاساقفة تحت رئاسة المفريان لهُ عليهم ملء السلطان كما للبطرك على اساقفتهِ . وربّما دُعي عند بعض كتبة اليعاقبة والنساطرة باسم الجاثليق اي الاسقف العام فتكون هذه الرتبة بمقام كبير روساء الاساقفة (Primat) وكان بين المفريان و بطريركهِ علاقة كبيرة يخضع ذاك لهذا في الامور العمومية الآيلة لخير الملّة جمعاء . وكان البطريرك لا يُختار الّا برضى المفريان ويُختار المفريان برضى البطريرك . امّا مقام المفريان فكان في تكريت على ضفّة دجلة في وسط الطريق بين الموصل وبغداد وكانت هذه المدينة سابقًا عامرةً حافلة بالنصارى وهي اليوم صغيرة لا يتجاوز عدد سكّانها ستة آلاف نسمة وهم مسلمون اجتمعنا بهم في اثناء سفرنا الى بغداد ونحن راكبون الطّوف من الموصل فأنبأونا انّ النصرانيّة كانت شائعةً بينهم قبل قرنين وانّهُ لا تزال آثار الكنائس باقيةً في بلدهم . ولا بدع انّ كنيسة المفارين كانت من اعظمها وأتقنها

وكان اوّل ما سعى بهِ ابن العبري بعد ارتقائهِ الى رتبة المفريان ان يوطّد سلطة البطريرك اغناطيوس الثالث ويمنع الانشقاق في الملّة . وذلك ان بعض اهل الفتن ادّعوا بانّ انتخاب البطريرك والمفريان لم يكن شرعيًّا فغرُّوا بعض الاساقفة وجمعوهم ليختاروا لهم بطريركًا آخر ومفريانًا غير ابن العبري ورحلوا الى مدينة أرزنجان من حواضر الارمن حيث كان حلّ هولاغو قائد المغول . وكان جلّ ما يبتغون ان يستميلوهُ الى عصبتهم وينالوا منهُ كتابًا يقرّ لهم بالرئاسة . فخاف اغناطيوس انّ يتّسع الخَرق ويتفاقم الصدع فسيّر ابنَ العبريّ الى عظيم المغول ليطلعهُ على حقيقة الامر ويفلُّ شباة اعتداء الخصوم ويمهّد لهُ الطريق للدخول على هولاغو . فاسرع السفير لقضاء هذه المهمّة ولم يزل يُوصل السير بالسُّرى حتى بلغ ارزنجان

وكان في غضون سفرهِ يستعين بما عندهُ من المعارف الطبّيّة ليدخل على الولاة وينال الحظوى لدى عمّال هولاغو ووصاةً للامتثال بين يديهِ فاتت مساعيهِ بالمرام . فانّ هولاغو استقبلهُ بمزيد الأكرام وابدى لهُ غاية التجلّة وامر عمّالهُ بان يتلقّوا البطريرك القادم بغاية الحفاوة ويترحّبوا بهِ ويكرموا موردهُ في طريقه . ولمّا وصل البطريرك ادخله المفريان

الى هولاغو فسُرَّ بهِ واناله براءةً تثبت حقوقهُ وشفعها بكتاب آخر اثنى بهِ على المفريان واطنب في محامدهِ . وفي السنة التالية توفي هولاغو وملك عوضهُ ابنهُ أباقا فاحسن المعاملة الى البطريرك اغناطيوس والى ابن العبري جريًا على طريقة ابيهِ

وبعد مواجهة هولاغو بايام قلائل رجع البطريرك الى طور عابدين ثمَّ الى ملطية فسكن دير برصوما كاسلافهِ (١ . امَّا ابن العبري فانهُ توجَّه الى تكريت ليستلم كرسيَّهُ فكان لهُ فيها استقبال حسن من اهل ملَّتهِ ومن غيرهم احتشدوا لملتقاه وسُرُّوا بقدومهِ ايَّ سرور . وما كان ابن العبري ليخيّب آمال رعيَّتهِ فيهِ . والحقُّ يقال انَّهُ نهض باعباء مقامهِ السامي نيفًا وعشرين سنة باذلًا ما لا مزيد عليهِ من علوّ الهمَّة والنشاط صارفًا عنايتهُ الى اصلاح شؤُون ملَّتهِ المادّيَّة والادبيَّة

٧

وكان اوَّل ما فكَّر فيهِ تفقُّد ابرشيَّتهِ الواسعة فزار اوَّلًا الموصل وكانت الجموع تخفُّ لاستقبالهِ في كل بلدة يجتازها يتقدَّمهم الكهنة والذوات وكلُّهم يتسابقون لاظهار عواطف الولاء والابتهاج بقدومهِ . ولمَّا انتهى الى الموصل تقاطر الشعب لملاقاتهِ وضجَّ عند رؤياهُ باصوات الفرح بينما كانت الكهنة ترنّم بالاناشيد الروحية . وما لبث فيها الَّا ريثما استراح وتلقَّى وفود السلام ثم صعد الى دير مار متَّى ليزور رهبانهُ ورقَّى فيهِ الى درجة الاسقفيَّة احدهم لكنيسة نُوهَدْرة وهي مدينة حصينة على الفرات

ثم عاد ابن العبري الى الموصل ليهتمّ بشؤُون الرعيَّة فوجد اهل ملَّتهِ في اسوإ حال لانَّهُ لم يكُ يبقى منهم الَّا قومٌ يسير وذلك انّ نصارى الموصل كانوا زايلوا بلدتهم قبل ذلك باربع سنين خوفًا من صاحبها الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ وكان اساء اليهم المعاملة . فخرجوا الى اربل واستوطنوها . وكان اكثرهم من اليعاقبة فبنوا لهم هناك بيعةً . فجاء بعد خروجهم عسكرُ المغول باغراء شمس الدين بن يونس احد امراء الملك الصالح

١) وللبطاركة اليعاقبة مركز آخر في شماليّ شرقيّ ماردين على نحو اربعة اميال منها وهو دير الزعفران وفيهِ دخلنا على البطريرك الحالي عبد المسيح في تشرين الاوَّل من سنة ١٨٩٦ . وكانت غايتنا ان نزور خزانة كتب هذا الدير القديم فلم يسمح لنا بذلك البطريرك المذكور

وفتحوا الموصل ونهبوها وقتلوا فيها مدَّة ثمانية ايام عالمًا لا يُحصى . وكان الملك الصالح من جملة الاسرى قتلهُ بعد ذلك هولاغو وتولَّى الموصل مكانهُ شمس الدين بن يونس ثم تغير عليهِ المغول وقتلوهُ وقرَّروا بدلهُ حاكمًا زكيَّ الاربلي

فصرف ابن العبري في الموصل ايَّامًا ينظر في حاجات رعيّتهِ ويجبر قلوبهم ويوصي بهم ذوي الامر ثمَّ ركب دجلة يقصد بغداد وفيها وقتئذٍ قسمٌ كبير من مرؤوسيهِ

فلمَّا سمع اهل الزوراء بقدوم ابن العبري اعدُّوا لهُ ما يليق بشأنهِ من الحفاوة والاكرام . وكانت بغداد وقتئذٍ في قبضة المغول لم تَقُم بعدُ ممَّا حلَّ بها من النكبات قبل ذلك العهد بخمس سنوات لمَّا استولى عليها هولاغو وخربها . وكان عليها عامل يقضي باسمهِ . امَّا النصارى فكانوا نالوا من الزُّلفى عند المغول ما لم ينلهُ غيرهم لاسيَّما النساطرة لما كان لهم من التداخل مع قبائلهم الشتَّى وعلى يدهم كان تنصَّر جمٌّ غفير منهم . وكانت منذ ايَّام المنصور اضحت بغداد مقامًا لبطاركتهم وهم المعروفون بالجثالقة لهم فيها عدَّة كنائس متسعة بديعة الاحكام

وكان الجاثليق النسطوري لمَّا قدِم ابن العبري بغداد مكيخا اسقف نصيبين سابقًا فارسل وفدًا من قبلهِ لملاقاة المفريان ورحّب بهِ عند زيارتهِ لهُ في الدار الجاثليقيَّة . وكان وقتئذٍ زمن الفصح فتألَّب النساطرة في كنيسة اليعاقبة ليحضروا الرُّتب والطقوس السريانية التي كان يترأَّسها المفريان

الَّا انَّ هذا الوَلاء بين نِحلَتين طالما اشتهرتا بالنزاع والخصام لم يدم زمنًا طويلًا . فانَّ اليعاقبة لمَّا رأوا ما جُبل عليهِ المفريان من الخصال الحميدة وانَّ منزلتهُ من العلم وغزارة المعارف اعلى من كلّ معاصريهِ اخذوا يُطنبون في محامدهِ ويلقّبونهُ باشرف الالقاب حتَّى خاف النساطرة ان يفقدوا ما كان لهم في بغداد من علوّ المرتبة فاجتمعوا الى بطريركهم وسعوا عندهُ بابن العبري ونسبوهُ الى الطمع برتبة الجاثليق التي خُصَّ بها النساطرة دون سواهم

فاحتدم مكيخا لهذا القول غضبًا وفكَّر في مناقضة ابن العبري لولا انَّ الله كفَّ عنهُ شرَّهُ فقضى البطريرك نحبهُ بعد ايَّام قليلة في العشر الثاني من نيسان من السنة المذكورة . امَّا ابو الفرج فانهُ اقام في بغداد طول الصيف ووضع الايدي على عدَّة شمامسة ثمَّ اختار

لبغداد اسقفاً من طائفتهِ سامهُ بيدهِ وقفل راجعاً الى الموصل في الخريف . فسكنها مدَّة ثم اقام بتكريت

٨

وكان من محلّ مركزهِ هذا يصرف نظرهُ الى رعيَّتهِ المتَّسعة يكاد يلتهب غيرةً عليها واوَّل ما وجَّه اليهِ افكارهُ ان يرسل الى الكنائس أيمّةً فُضلاء ذوي علم ودين ليعيد لملّتهِ شأنها بين طوائف المشرق فلم يأخذهُ في ذاك لومة لائم ولم يغترَّ بما قدَّمهُ اليهِ البعض من المال ليتولّوا امر الكنائس كما كانوا يفعلون مع اسلافهِ بل آثر من رآهم اهلاً لهذه المنزلة الرفيعة ولا يقلّ عددهم عن اثني عشر اسقفاً سامهم بيدهِ لبلاد متباينة . والحق يُقال انَّهُ كان من النزاهة على قدمٍ عالٍ لا يقبل التقادم والهبات فضلاً عن الرشى . وكان يضطرُّ اهل ملّتهِ ان يضعوا تحت وسادتهِ ما تسمح بهِ نفسهم لراعيهم . امّا ابن العبريّ فكان لا يمسُّ هذه الدراهم بل يوزّعها على ذوي الحاجات او ينفقها في سبيل البرّ

ومن اعمالهِ المحمودة ما شيَّدهُ او رمَّمهُ من الكنائس لم يَخِم عمَّا استدعى ذلك من النفقات الطائلة والمشاكل المُعْضلة . ومن جملة ما بناهُ كنيسة بغداد ساعدهُ على اتمام هذا المشروع احد ابناء ملّتهِ ذو ثروة وعلم واسع اسمهُ صفيُّ الدولة سليمان بن جمَّال . وصرف عنايتهُ ايضاً الى تشييد بيعة واسعة في مدينة تبريز أحكم إتقانها وجهَّزها بكل ما من شأنهِ ان يزيد الشعب اعتبارًا لبيت الله واكرامًا لمن يتولّى شؤونهم الروحيّة . وزاد على ذلك مأوًى للغرباء والزوَّار كما فعل سابقًا في حلب

وكان ابن العبري كلفاً بزينة الكنائس وحسن هندستها . ولمَّا رأى ان ملكة المغول مريم ابنة ميخائيل باليولوغ زوجة اباقا خان التاتار استقدمت من بلاط ابيها مصوّرَيْن بارعين في فنّهما لنقش كنيسة الروم في تبريز ارسل فطلب منها احدهما وعهد اليهِ زينة كنيسة دير جديد كان المفريان اتمَّ عمارتهُ في مدينة بَرْتَلي على اسم الشهيد يوحنّا بَرْنَجْرا . فلبَّى المصوّر دعاءهُ وقام باعباء الامر احسن قيام . ولمَّا انتهى من زينة البيعة نقل اليها باحتفال عظيم ذخائر الشهيد وكان قد اكتشفها ابن العبري . واخبر في كتاب التاريخ الكنسيّ انَّ الامر أُوحي اليهِ بالحلم بعد ان استحرَّ بالصلاة وعكف على الصوم والمبرَّات ليرشدهُ الله الى الوقوف على مدفن الشهيد سابقًا

وكان ينبغي لإنجاز هذه الاعمال الشتّى ولتفقُّد شؤُون الملّــة ان يتجشّم ابن العبري اسفارًا كثيرة ويطوف بلادًا نازحة فلم يثبطهُ عن ذلك خوفُ مشقة ولا عناء

وكان اعيــان العصر ينتابون مجلس ابن العبري كما انهُ كان يتردّد على السلاطين واصحاب الامر فيعظمون شأنهُ ويحتفون بهِ. ومن ذلك دخولهُ على احمد بن هولاغو ملك المغول لمّا خلف اخاهُ اباقا سنة ١٢٨٢م فرحّب بهِ كسلفيــهِ ومنحهُ المناشير المثبتة باعتبارهِ لهُ واقرارهِ بفضلهِ ورخّص لهُ ببناء الكنائس في العراقَين. وكان هذا السلطان قد اسلم منذ زمن قليل امّا اخوهُ اباقا فكان نصرانيًّا واخبر عنهُ صاحب الترجمــة (تاريخ الدول ص ٥٠٥) في تاريخ سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) انّهُ يوم عيد النصارى الكبير دخل الى البيعة في همذان وعيّد مع النصارى

وكان بطريرك النساطرة دنحا خلَفُ مكيخا في سنة ١٢٧٧ يجلُّ ابن العبري ويراسلهُ في امور الدين والعلم. فلمّا الجأتهُ بعض امور الملّة ان يصعد الى بغداد استقبـلهُ بكل ما امكن من شارات العزّ والحفاوة وخطب امام الحُضور مكرّرًا قول الحكيم: طوبى لشعب اصاب كمثل هذا. وقد بقي الى عهدنا شاهدٌ على ما دار بين المفريان والبطريرك من المباحثات. فانّنا لمّا كنّا في الموصل دلّنا حضرة الاب يوسف الكلداني وكيل المدرسة الاكليريكية على رسالة كتبها ابن العبري نظمًا الى دنحا يعرض لهُ بالبراهين العقليّة والتقاليد الراهنة صحّة معتقَد الكنيسة في اقنوم المسيح خلافًا لتعليم النساطرة. وهذه الرسالة لم توجد في ديوان ابي الفرج فارسلها الاب يوسف المذكور الى العلّامة الافرنسيّ الاب شابو فنشرها في العدد الاوّل من السنة الجارية في المجلّة الاسيويّة (١

ومن تصفّح ديوان ابن العبري وطالع كتب تواريخهِ ادرك ما كان لهُ من الهيبة في النفوس ومن نفوذ الكلمة عند الخواصّ وكان كثير من طلبة العلم يستجزلون فوائدهُ فيتألّبون عليهِ من كلّ اوب. وقد ذكر من جملة تلامذتهِ (٢ الطبيبين المشهورين ابا الخير التبريزيّ ويوحنّا المراغيّ وكان مع ذلك لا يضنّ بعلمهِ فيحلّ شكوك من اتاهُ بنزاهة وكرم. وقد أخذ في تاريخ الدول (ص ٤٨١) على احد معاصريهِ المدعو يعقوب الدمشقي السامريّ لمشارطتهِ

---

١) Journal Asiat., 9ᵉ Série, XI, Janv. – Fev., p. 75

٢) التاريخ الكنسيّ الجزء الثاني (ص ٤٦٠ – ٤٦٢)

من يقصدهُ من الطلاَّب للاستفادة دراهمَ معلومة. فقال عنهُ « انَّ هذه خساسة مبـاينة للانفس الفاضلة »

وكان كلَفُهُ بصحبة الحكماء والفلكيين والاطبَّاء اعظم منهُ بغيرهم لما كان لهُ في فنون الفلسفة والهيئة والطبّ من البراعة والشهرة. وقد عدَّد في تاريخ الدول والتاريخ الكنسيّ جملة رجال من المشاهير الذين برزوا في زمانهِ بهـذه الصنائع وقد اجتمع ببعضهم على اختلاف اديانهم كنصير الدين الطوسي وجمال الدين بن الرحبيّ الدمشقيّ. وقد قال عن هذا في تاريخ الدول (ص ٤٨٠) ما نصُّهُ: « وقد صحبتُهُ أُباشر معهُ المرضى بالبيمارستان النوريّ بدمشق وكان حسن الاخلاق لم ارَ في الجماعات احسن منهُ زيًّا وصمتًا ونطقًا ومبسمًا »

٩

وما من شأنهِ ان يذهل العقول انَّ ابن العبري رغمًا عمَّا احدق بهِ من الشواغل العديدة وما باشرهُ من الاسفار الطويلة لم يزل واقفًا عمرَهُ على التصنيف والتأليف. فكان اذا ما دخل مدينةً اسرع الى قضاء امور طائفتهِ الروحيَّة ثم يتفرَّغ الى الكتابة ينشطهُ على ذلك ما يجدهُ في كلّ مدينة من خزائن الكتب الخطّيَّة العزيزة الوجود فضلًا عمَّا آتاهُ الله من قوَّة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة. وكان يؤثر مدينة مراغة من اعمـال آذربيجان لتصنيف كتبه

وممَّا صنَّفهُ هكذا في غضون تنقُّلهِ في البلاد شرحُ كتاب المساحة لاوقليدس وضعهُ نحو سنة ١٢٧٠ وحلُّ كتاب المجسطي في الهيئة لبطلميوس الشهير كتبهُ سنة ١٢٧٣

ولم يثنهِ انحطاط قواهُ عن الكتابة حتَّى عند اقتراب المنون. وقد اخبر عنهُ اخوهُ برصوما الراهب انَّهُ لمَّا انتهى الى مراغة قبل وفاتهِ باشهر وهو في انتظار ورود المنيَّة اتاهُ بعض وجوه البلدة من العرب فطلبوا اليهِ ان يعرّب لهم تاريخهُ في الدول المكتوب في السريانيَّة فاجاب الى سؤْلهم واخذ ينقل الكتاب الى العربيَّة وانجزهُ بنحو شهر فقط. وهو التأريخ الذي نُشِر بالطبع في مطبعتنا. ومن يقرأ هذا الكتاب يتعجَّب من حسن سبكهِ وفصاحة الفاظهِ وطلاوة كلامهِ. وقد تصرَّف في هذا التعريب بعضَ التصرُّف لأنهُ زاد على الاصل السريانيّ عدَّة تفاصيل وضرب صفحًا عن غيرها كما رآهُ انسب لغرضهِ. وكلا التاريخين من التآليف العميمة الفوائد الجديرة بالثناء

وكان ابن العبري قويّ البنية مجدول الخَلق لا يشكُّ من يراهُ انهُ سيُعَمّر طويلًا الّا انّ ما نهض بهِ من المشروعات الجليلة وتحمّلهُ في مدّة عمرهِ من المشقّات كان قد انهك قواهُ ودكَّ صريح بنيتهِ . وكان في سنة ١٢٦٨ اصابهُ داءٌ عُضال كاد يذيقهُ كأس المنيَّة وذلك في ابّان سفرٍ كان باشرهُ الى نواحي الارمن فبقي طريح الفراش مدّةً وهو على رَمَق بين حيّ وميت ثم عافاهُ الله ومدَّ في اجلهِ

وما زاد على اوجاع المفريان واتعابهِ ما قاساهُ من ذوي ملّتهِ . وقد بسط في تاريخهِ ما جرى بينهُ وبين البطريرك اغناطيوس خَلَف ابن المعدنيّ من الوحشة لانَّ البطريرك لم يرضَ بمشورتهِ في امور كانت تمسُّ صالح الطائفة . ثمَّ ترضّاهُ البطريرك وارسل اليهِ ثلاثة من الاساقفة يطيّبون خاطرهُ . فتراضيا

وتوفي البطريرك المذكور في اواخر سنة ١٢٨٢ في دير فَقسِياط من اعمال قيليقية وكان قبل وفاتهِ اصابهُ داء الاستسقاء . فلمّا احسَّ بوشك قضاء نحبهِ ارسل الى المفريان يستدعيهِ ليسلم اليهِ تدبير الكرسيّ البطريركيّ . فلم يتمكّن المفريان من السَّفر لانَّ الحروب في تلك السنة كانت قائمة على ساقٍ والطرق ليست بمأمونة

وفي تلك الاثناء مات البطريرك فاسرع بعض كهنة قلعة الروم اسمهُ يعقوب وجمع ثلاثة اساقفة في دير برصوما وعرض عليهم ان يختاروا لهم بطريركًا ابن اخيهِ نمرود ففعلوا في اوائل سنة ١٢٨٣ واجلسوهُ على الكرسيّ البطريركي وتسمّى بفيلوكسين ونال لهُ عمُّهُ منشورًا من ملك المغول

فكان هذا الانتخاب مخالفًا لكل سُنَن البيعة لاسيّما انَّ مجمع الاساقفة عُقد بمعزل عن المفريان . فما بلغ هذا الخبر ابنَ العبريّ حتى ناصب البطريرك الجديد بكلّ ما تأَتّى لهُ من الوسائل الّا انَّ مساعيَهُ ذهبت ادراج الرياح . والحقُّ يقال ان هذه المنازعات كثيرًا ما انتشرت في هذه الطوائف المنفصلة عن كرسيّ هامة الرُّسُل فبلبلت نظامها وقوّضت دعائم قوّتها . وحسبنا على ذلك دلائل لا تُنكر ما دوّنهُ ابن العبريّ في تاريخهِ الكنسيّ وهو مشحون بذكر هذه الخصامات والمشاجرات . صان الله كنيستهُ من شرّها

١٠

فكان ما وجدهُ ابن العبريّ من الشجب والإعنات في هذه الظروف مؤثرًا في مزاجهِ ايَّ تأثير. فاعتزل الامور وتخلّى للدرس الى سنة وفاتهِ. ولمَّا حدث في تلك السنين زلازل كثيرة كادت تُخرب مدينة ملطية وتبيد دير برصوما برُمَّتهِ عزا المفريان ذلك الى عقاب الله وغضبهِ تعالى على اهل ملَّتهِ

واخبر اخوهُ برصوما صافي الراهب انَّ شقيقهُ كان يتوقّع حاول منيَّتهِ في سنة ١٢٨٦ مستندًا في ذلك الى مراقبة النجوم وعلم الهيئة. وفي ديوانهِ قصيدةٌ تُشعر بهذا الاعتقاد الباطل الذي كان كثيرٌ من مُعاصريهِ يُفتنون بصحَّتهِ

ولمَّا تكرَّرت في هذه السنة غزوات اهل الشام بجهات الموصل حتَّى خاف الاهلون على ارواحهم انتقل ابن العبريّ من الموصل الى مراغة في آذربيجان. فكان هذا السفر منشطًا لقواهُ وبقي مدةً مشمولًا بحسن العافية مكرّمًا من اهل المدينة على اختلاف مذاهبهم الى العشر الاخير من شهر تموُّز فابتلاهُ الله بحمّى شديدة في ٢٨ منهُ. فتواردت اليهِ اطباء البلدة واشاروا عليهِ بشرب الدواء فلم يرضَ زاعمًا انَّ ساعة وفاتهِ قد دنت واخذ يفكّر في امور رعيتهِ ويوصي اخاهُ بنيّاتهِ الاخيرة ويعزّي الحاضرين المكتئبين لدنوّ أجلهِ

ولمَّا كان اليوم الثالث من مرضهِ استدعى كاتب اسرارهِ فاملى عليهِ قول الكتاب (اشعيا ٤٠: ٦): كلُّ بشرٍ عُشبٌ وكلُّ مجدهِ كزهر الصحراء. ثم حرَّض تلامذتهُ على التحابّ والألفة مكرّرًا لهم قول الربّ في انجيل يوحنَّا: «بهذا اوصيكم ان يُحِبّ بعضكم بعضًا». فاخذ الحضور يذرفون الدموع السخينة على سيّدهم وكان منهم من يمزّق ثيابهُ وغيرهم يذرُّون التراب على هامتهم بينما كان هو يتلقّى الموت بوجهٍ بشوش. قال اخوهُ: «وبقي على هذه الحالة بضعة ساعات حتى انطفأ هذا السراج المضيء او بالحريّ هذا النور الساطع وسقط هذا العَمَد الوطيد لملّة اليعاقبة الصغيرة والضعيفة فانتقل الى رحمة ربهِ» في ليلة الثلاثاء الواقعة في ٣٠ تموُّز من السنة ١٢٨٦

فكان لمنعاهُ وقعٌ عظيم كأن المدينة أُصيبت بخطبٍ جَلَل. فاجتمع اليعاقبة والنساطرة والروم والارمن عند جثّتهِ وقضوا نهارهم في الصلاة عليهِ. وكان وقتئذٍ بطرك النساطرة يَهبالاها خَلَفُ دِنحا منذ سنة ١٢٨١ موجودًا في مراغة فامر كلَّ نصارى ملّتهِ بان يمتنعوا

عن الشغل ويلبسوا الحداد ايذانًا بما طرأ على النصرانيَّة من الرزيَّة العظمى بوفاة هذا العلاَّمة الجليل . وبعد ذلك بمدَّة نُقلت جثَّتهُ الى الموصل فدُفنت باحتفال في دير مار متَّى حيث لا يزال قبرهُ مكرَّمًا كما سبق

١١

قد أُصيبت بموت ابن العبري العلوم والآداب بين اليعاقبة بضربةٍ قاضية فلا تكاد تجد بعدَهُ كاتبًا يُذكر فاضحت مذ ذاك هذه الطائفة اشبه بشجرةٍ ذوت اغصانها ونضب ماء حياتها فلم يُجتَنَ منها ثمر طيِّب وهي لا تزال الى يومنا في انحطاط وتقهقُر اعاد لها الله محيي الرِمَم نضارتها الاولى برجوع روسائها الى وحدة الايمان

امَّا تآليف هذا الملفان الجليل فانَّها على الحقيقة عبارةٌ عن معارف البشر جمعاء في القرن الثالث عشر وان سرَّحت الطرف في جدول اسامي كتبهِ فقط يأخذ منك الاندهال ولا تتماسك عن الاقرار بقدر فضلهِ وسعة علمهِ وتفنُّنهِ في كل اصناف الآداب . وان توغَّلتَ في تصفُّح هذه التآليف وفحصها فردًا فردًا زاد منك العجب وقضيت لهُ بالسبق على كلّ معاصريهِ من الشرقيين دون استثناء . امَّا اذا قابلت بينهُ وبين العقول السامية التي برَّزت في الغرب في ذلك العصر وجدتَ ابن العبري جاريًا في مضمار الفحول لم يسبقهُ غير رجلين يُعدَّان بسموّ مداركهما كغرَّتي دهرهما اعني المعلِّم الملاكيّ شمس المدارس القديس توما الاكويني والمعلِّم السروفيّ القديس بُونَونتورة . هذا وانّ ابن العبري قد فاقهما بعدّة علوم لم يصنِّفا فيها شيئًا كالطبّ والهيئة والتاريخ واللغة والآداب الدنيويَّة ولابن الفرج الملطيّ في كل ذلك تآليف تستوجب الاعتبار كما سترى

وما يزيد ابن العبري شرفًا انّ تآليفهُ اضحت في الشرق بعدَهُ كدستور يُرجَع اليهِ . ومورد يستقي منهُ كلُّ من اراد ان يتخرَّج بعلوم الاقدمين . والدليل على ذلك انَّنا رأينا في غضون سفرنا الحديث اغلب تآليفهِ في ايدي الادباء من كلّ طوائف الشرق على اختلاف مللهم يتداولونها ويستنسخونها لاحراز فوائدها . وقد بلغ كلَف سيادة ايليا ميلوس رئيس اساقفة ماردين الجزيل الاحترام بهذه المصنَّفات الى ان نقل منها بيده ما ينيف على عشرين مجلدًا ضخمًا يحفظها بمزيد الحرص في خزانة كتب كنيستهِ الغنيَّة بالتآليف الكلدانية القديمة

هذا وتيسيرًا للاطّلاع على اعمال صاحب الترجمة احببنا ان نسرد في ما بقي من مقالتنا جدولًا لتصانيفهِ نقسمهُ الى ابوابٍ على مقتضى المواضيع التي كتب فيها ونلحق كل تصنيف بما نراهُ حريًّا بالاعتبار

١ الكتب الدينيَّة

(تفسير الكتاب المقدّس) لابن العبري في شرح الاسفار الالهيـــة كتاب يُعدّ من انفس ما وُضع في هذه المادّة . الَّفهُ صاحبهُ بالسريانية باسم ܐܘܨܪ ܐܪ̈ܙܐ ثمَّ عُرّب بعدهُ بقليل فوُسِم باسم كنز الاسرار . ومن كليهما نُسَخ في خزائن كتب اوربة الخطّية . وهذا التأليف انجزهُ ابن العبري قبل وفاتهِ بنحو عشر سنوات اهتمّ فيهِ اهتمامًا عظيمًا وهو يحتوي على نصّ الاسفار المقدَّسة على حسب الترجمة المعروفة بالبسيطة (ܦܫܝܛܬܐ) مع ذكر ما يوجد بينها وبين النُّسخ القديمة من الروايات المختلفة لاسيَّما الترجمات العبرانية والسامريَّة والسبعينية وترجَمَتيْ اكويلا وسيَّماكوس وروايات اوريجانس . وقد شرح من متن الكتب الالهية ما رآهُ مُغلقًا عويصًا وربَّما استند في شروحهِ على تعاليم الآباء الاوَّلين من اليونان والسريان وشروح من سبقهُ من اهل ملّتهِ كموسى بركيفا وديونيسيوس برصليبي وجرجس اسقف العرب وغيرهم . ولو لم يكن لابن العبري غير هذا الاثر الجليل لكفى لتخليـــد اسمهِ . وقد طُبع من هذا المجموع الشريف اقسام عديدة تكاد اذا جُمعت تستوفي اكثر من ثلثي الاسفار الالهية فقد نشر بالطبع الدكتور شرُوتر (Schröter) فصولًا من سفر التكوين والخروج وتثنية الاشتراع . وطبع سنة ١٨٩٥ الدكتور كِربر (Kerber) شروح ابي الفرج على كتاب اللاويين . وطبع الدكتور كروس (Kraus) شرح كتابَي يوشع بن نون والقُضاة سنة ١٨٨٤ . ونشر الدكتور ڤنكلر (Winkler) شرح تسبحة دُبورة . وطبع قبلهُ الدكتور برنستين (Bernstein) شرح سفر ايُّوب . امَّا شرح اسفار سليمان الحكيم (الامثال والجامعة والحكمة) فقد نشرها سنة ١٨٨٧ الدكتور رالفس (Rahlfs) وطبع شرح راعوت الدكتور هبنر (Heppner) سنة ١٨٨٨ . وشرح سفري الملوك الاوَّل والثاني الدكتور مرغنسترن (Morgenstern) . ونشر الدكتور شروتر المذكور والدكتوران رود (Rhode) وكنوبلوخ (Knobloch) قسمًا من شرح المزامير . والدكتور تلبرغ (Tullberg) ابرز شرحهُ على اشعيا النبي . والدكتور كوران (Koraen) على ارميا . والدكتور غوغنهيمر (Gugenheimer) على حزقيال . والدكتور فريمان (Freimann)

على نبوَّة دانيال . والدكتور كاتس (Kaatz) على سفر ابن سيراخ . امَّا اسفار العهد الجديد فقد طبع منها الدكتور سپانوث (Spanuth) شرح انجيل متى . والدكتور ستينهرت (Steinhart) شرح انجيل لوقا سنة ١٨٩٦ . والدكتور شوارتز (Schwartz) شرح انجيل يوحنا . والدكتور كلمروث (Klamroth) شرح اعمال الرسل والرسائل المعروفة بالكاثوليكية . والدكتور لوهر (Loehr) شرح رسائل الإناء المصطفى . ويا حبَّذا لو جُمعت هذه الطبعات المتفرّدة فنُشرت في كتاب واحد يجتني من فوائده دارسو الكتاب المقدّس . وكان الدكتور لرسوف (Larsow) باشر هذا العمل بطبع كتاب كنز الاسرار في ليپسيك سنة ١٨٥٨ فلم يتمّمهُ

(الكتب اللاهوتية) قد صنّف ابن العبري في هذا الباب كتابًا خطيرًا بالسريانية اسمهُ ܡܢܪܬ ܩܘܕܫܐ اي منارة الاقداس ترجمهُ الى العربيَّة احد ادباء اليعاقبة المعاصرين لابن العبري اسمهُ دانيال بن الخطَّاب . وعرَّبهُ ايضًا بعدهُ الشمَّاس سركيس بن يوحنَّا الدمشقي الزربابيّ وفي خزانة كتبنا الشرقية منـهُ نسخة نُقلت عن اصلهِ الموجود في دير السريان بالشرفة . وهذا الكتاب جليل في معناه قد قسمهُ صاحبهُ جزاهُ الله خيرًا اثني عشر ركنًا هذه اسماؤها : ١ بيان العلم المطلق ٢ في العالم وتكوينهِ ٣ في الثالوث الاقدس ٤ في التجسُّد ٥ في الملائكة ٦ في رئاسة الكهنوت ٧ في الشياطين ٨ في النفس الناطقة ٩ في الحرّية البشرية والعناية الالهية ١٠ في قيامة الاموات ١١ في الدينونة والعقـاب ١٢ في الفردوس . وكل هذه الاركان تتفرَّع الى فصول عديدة وتنقسم الفصول الى مقاصد . وتتجزَّأ المقاصد الى دلائل وشواهد . اودعها صاحبُها كلّها مباحث جليلة يثبتها عقلًا ونقلًا . وقد طبع الدكتور غوتيل (Gottheil) من هذا التأليف فصلين في النبات وخواصّهِ وفي رسم الارض . وهو من الكتب الممتعة التي تستحق ان تُنشر لفوائدها الجمّة ونأسف على ان ضيق المكان لا يسمح لنا بتفصيل ما تضمّنهُ هذا الكتاب من الابحاث النافعة

ولابي الفرج كتاب آخر لاهوتي يُدعى بالسريانية ܟܬܒܐ ܕܙܠܝܩܐ (كتاب الاشعَّة) يقسم الى عشرة اقسام قد اختصر فيهِ كثيرًا من المطالب النظريَّة التي وردت في التأليف المذكور آنفًا وتصدَّى لمباحث أُخرى قليلة في الاعتقادات الكنسية

ويسوغ لنا ان نلحق بهذا الباب رسالة سريانية لابن العبري تدعى « دستور الايمان » ضمَّنها مُعتَقد اليعاقبة في زمانهِ

وكذلك رسالتهُ الى الجاثليق النسطوري الذي مرّ ذكرها سابقًا (ص ١٧)

(كتب الآداب البيعية) من تصانيف ابن العبري في هذا الباب كتابان جزيلا المنافع احدهما موسوم بكتاب الهدايات (ܟܬܒܐ ܕܗܘܕܝܐ) وهو مجموع القوانين البيعية والرسوم المدنية التي تستند اليها كنيسة السريان الغربيين مأخوذة من اعمال المجامع البيعيَّة والاحكام الملكية منذ قرون النصرانية الاولى الى زمن المؤلف. وهذا الكتاب لليعاقبة بمثابة كتاب عبد يشوع الصوباوي المدعو مجموع القوانين (ܩܢܘܢܐ ܕܣܢܗܕܘܣ) للنساطرة. وهو يقسم الى قسمين يُبحث في الاوَّل عمَّا يختصُّ بامور البيعة والثاني مداره على احوال المؤمنين العالميّن. وابواب الكتاب اربعون بابًا تتفرّع الى فصول شتَّى. وهذا التأليف قد عرّبهُ في ايّام ابي الفرج دانيال بن الخطَّاب المومأ اليهِ. ومنهُ نسخةٌ خطّية في مكتبة آل ميديسيس في رومة العظمى. وقد ترجمهُ الى اللاتينية العلاَّمة المنسنيور يوسف السمعاني الطائر الشهرة فطُبعت ترجمتهُ في عصرنا تولَّى طبعها الكردينال ماي (Mai : *Script. Vet. Nova Collectio*, X)

والكتاب الآخر ليس بانقص شأنًا من الاوّل وهو كتاب الايثيقون (ܟܬܒܐ ܕܐܝܬܝܩܘܢ) اي في الآداب وتهذيب الاخلاق لدينا منهُ نسخة معرَّبة نقلناها عن الاصل المصون في دير السيدة بالشرفة وهو مكتوب سنة ٢٠١٠ للاسكندر (١٦٩٨ م). ولعلَّ هذه الترجمة هي لابن الخطَّاب معرِّب كتاب الهدايات ومن تعريبهِ نسخة في المكتبة الفاتيكانية. وفيها للقس يوحنا بن جرير الشامي تعريب آخر كُتب سنة ١٦٤٥. وهذا الكتاب يقسم الى اربع مقالات تحتوي ثلاثة واربعين بابًا تشتمل ما ينيف على ثلاثمائة وثلاثين فصلًا اسهب فيها القول عن الفضائل الدينيـة والاخلاق الادبية ممَّا يُقتضى على الانسان لاسيَّما النصرانيّ وخصوصًا الراهب ان يتَّصف بهِ وقد استشهد في معرض كتابهِ بالآباء ومعلمي السيرة الروحية. ومن منافع هذا الكتاب معرفة العوائد التي كان يجري عليها نصارى المشرق في زمن ابن العبري راجع مجلة (الحكمة) لجنتي سنة ٤ ص ٩٢

ولابي الفرج ايضًا في التعاليم الروحية كتاب صغير دعاهُ (ܟܬܒܐ ܕܝܘܢܐ) اي كتاب الحمامة منهُ نسخة معرّبة في خزانة كتبنا الشرقية. غاية المؤلف بوضعهِ لهُ ان ينهج للنسَّاك

طريقاً للحياة الروحية فيستغنوا بمطالعته عن المرشدين. وهو اربعة ابواب الباب الاوّل في التعبُّد البدني . الثاني في العبادة النفسانية . الثالث في الراحة الروحانية التي للكاملين . وكلّ من هذه الابواب يقسم الى عشرة فصول . امّا الباب الاخير فقد اودعهُ ابن العبري مئة نصيحة تفيد الحياة الروحيّة

(كتب الطقوس) يحقُّ ان نذكر من هذا القبيل نافوراً وضعهُ ابن العبري كرُتبة للقداس نقلهُ رِينودوت الشهير الى اللاتينية فطبعهُ في مجموع ليتورجيّات المشرق (Renaudotii, *Liturgiarum Orient. Collectio*, II, 456)

وفي هذا الباب يدخل تهذيبهُ للنافور المعروف بالكنيسة السريانية بنافور القديس يعقوب الرسول الملقَّب باخي الربّ طبعهُ رينودوت في كتابهِ المذكور (الجزء الثاني ص ١٢٦)

وقد هذَّب ايضاً ابن العبري كتاب رتبة المعموديّة لساويرس اوّل بطاركة اليعاقبة

٢ الكتب الفلسفيّة

انّ الدروس الفلسفية كانت بلغت في المشرق غاية عزّها في القرني الحادي العشر والثاني عشر للمسيح تشهد على ذلك الوفُ من المصنَّفات الجليلة لمشاهير الحكماء كبِشر بن متَّى والفارابيّ ويحيي بن عديّ والشيخ الرئيس ابن سيناء وابن رُشد وابن جبرون وموسى ابن ميمون وغيرهم كثيرين الّا ان غزوات المغول والتاتار والحروب المتواترة التي جرت في القرن الثالث العاشر قوَّضت اركان هذه العلوم وحجبت انوارها الساطعة وقتما اخذ المغرب ينبعث من سباتهِ ويعكف على درس قدماء الفلاسفة وترجمة اعمالهم الخطيرة

بيد انّ ابن العبريّ رغماً عن خمول العرب والسريان في زمانهِ رفع بين اهل ملّتهِ منار الفلسفة وصار اماماً لكلّ من يأتمُّ بهِ . وتآليفهُ الفلسفية هي حقيقةٌ حريّة بكلّ ثناء واعتبار

واوّل ما سعى بمباشرتهِ ان ينقل اعمال ارسطو الى السريانية فجاءت ترجمتهُ اوفى بالمقصود ممّن سبقهُ من علماء السريان كسرجيس الراسعيني ويعقوب الرهاوي . وتأليف ابن العبري الكبير في الفلسفة هو الموسوم باسم زبدة الحكمة (ܚܐܘܬ ܚܟܡܬܐ) وقد دعاهُ البعض حكمة الحِكَم (ܚܟܡܬ ܚܟܡܬܐ) . وهو يُقسم الى قسمين يتضمّن الاوّل كتب

ارسطو المنطقية يتقدّمها كتاب الايساغوجي لبرفيريوس ويليها المقالات العشر ثمّ كتاب التفسير ثم الانالوطيقا الاوّل ثم الانالوطيقا الثاني او الأپوديقطيقا ثم الطوبيقا اي الجدل ثمّ السوفيسطيقا اي المغالطة ثم الخطابة ثم الشعر· اما القسم الثاني فهو يشتمل على جزئين مضمون الاوّل الطبيعيّات وما يختصّ بها كالعالم والسماء والمعادن والنبات والحيوان والنفس· ومضمون الثاني علوم ما بعد الطبيعة كاصول الفلسفة والعلم بالخالق والادبيّات والسياسة· وفي كتبخانات اوربّة عدّة نسخ من هذا المجموع الشريف افضلها في رومية العظمى بمكتبة آل مِديسيس· وفي خزانة كتبنا الشرقية منهُ قسمٌ اتحفنا بهِ السيّد ايلياً ميلوس مطران ماردين الجزيل الاحترام

وقد اختصر ابن العبري هذا المصنَّف الفريد بكتاب آخر دعاهُ تجارة التجارات (ܬܬܓܪ ܬܬܓܪܘܬܐ) وهو يجري على اسلوب الكتاب المتقدّم ذكرهُ فيفسّر في القسم الاوّل مقدّمات الفلسفة اي المنطق وملحقاتهِ وفي الثاني الطبيعيّات

ولهُ كتاب ثالث خصَّصهُ بالمنطقيّات وما يلحق بها كالمقالات والجدل والانالوطيقا يسمّى كتاب الأحداق (ܟܬܒܐ ܕܒܒܬܐ) منهُ نسخة في خزانة كتب باريز الخطّية وفي المتحف البريطاني وفي برلين

وبين هذا الكتاب وتأليف رابع لابن العبري اسمهُ كلام الحكمة (ܟܬܒܐ ܕܣܘܕ ܣܘܦܝܐ) علاقة كبيرة ضمَّنهُ صاحبهُ ملخَّص الجدل والطبيعيات واللاهوت وهو شائع في خزائن الكتب الاوربيّة

ومن تآليف ابي الفرج الفلسفية مقالة حسنة في النفس وخواصّها وقواها كتبها بالعربية في ما ينيف على خمسين فصلًا منها نسخة في مكتبتنا الشرقية منقولة عن نسختين مختلفتين وسننشرها ان شاء الله يومًا بالطبع لفوائدها· ولم نرَ لها ذكرًا في جدول كتب ابن العبريّ

وقد ترجم ابن العبريّ الى اللغة السريانية كتابين من انفع ما وضعهُ العرب في الفلسفة احدهما كتاب الاشارات والتنبيهات لابن سيناء فدعاهُ (ܟܬܒܐ ܕܪܡܙܐ ܘܡܥܝܪܢܘܬܐ) وكتاب زبدة الاسرار لاحد معاصريهِ المشتهرين اثير الدين الابهري (المتوفَّى سنة ١٢٦٢)

هذا وفي ديوان صاحب ترجمتنا عدّة قصائد فلسفيـة اودعها معاني لطيفة واشارات دقيقة على طريقة الالغاز الحِكَمية

ومن عجيب امر هذه الكتب الفلسفيّة الموصوفة آنفًا انها بقيت حتى يومنا ملقاةً في زوايا المكاتب لم يُطبع منها شيء اللهمَّ الّا ما ورد من ذلك في ديوان المؤلّف الآتي ذكرهُ. وهذا ممّا يستدعي العجب والاندهال لانَّ في نشر تلك التآليف الجليلة ما يُفيد المقابلة مع مشاهير فلاسفة القرن الثالث عشر كألبرتوس الكبير واسكندر دي هالس ومنارَتي الكنيسة توما الاكويني وبونوَنتورا (١ فعسى ان يقوم بعض اصحاب النخوة من العلماء ويحيي هذه الرِمَم بنشرها

وممّا اخبر عنهُ اخوهُ صافي انَّ علماء المسلمين كانوا يقصدونهُ ليسمعوا منهُ شرح كتب اليونان الفلسفية. (قال) وسمعنا احد علمائهم في مراغة يقول: لم اسمع ابا الفرج يفسّر مسألةً الّا وتخيّلتُ ارسطو نفسهُ متكلمًا شارحًا فللّهِ درّهُ حكيمًا مدقّقًا وفيلسوفًا محقّقًا

٣ كتب الرياضيَّات وعلم الهيئة

كان لابن العبري وُلوع في علمَي الرياضيَّات والهيئة يتعمَّق في مباحثهما العويصة. وقد سبق (ص ١٨) انّهُ في اثناء اقامتهِ بمراغة اخذ في حلّ كتب اقليدوس في المساحة (٢ ولا نعلم اذا بقي لهذا التأليف من اثر فانَّ اخا المؤلف لم يذكرهُ في قائمة مصنّفاتهِ التي سردها في آخر التاريخ الكنسيّ الوارد ذكرهُ. ولعلَّ ابن العبريّ تولى شرحهُ فلقّنهُ تلامذتهُ شفاهيةً ولم يجمع ذلك الشرح في كتاب

امّا الهيئة فقد صنَّف فيها تأليفًا يُعدّ من النفائس يُسمَّى الصعود العقليّ (ܣܘܠܩܐ ܗܘܢܢܝܐ) وجدنا منهُ نُسخًا حسنة في خزانة كتب السيد ايليا مطران ماردين وفي كنيسة اليعاقبة في مدياث وفي الموصل. ولا تخلو منهُ مكاتب اوربّة كباريس واكسفرد والفاتيكان طبع منهُ غوتيل (Gottheil) فصلًا في رسم الارض سنة ١٨٩٠ ونقلهُ الى الانكليزية. وهذا الكتاب يقسم الى قسمين يحتوي اوّلهما ثمانية فصول يستقصي فيها اقوال الاقدمين عن هيئة الارض والسماء ثم يبسط القول تباعًا عن الشمس والقمر والسيَّارات وافلاكها الخاصّة ثم يبيّن اعراض السيَّارات وحركاتها وما يختصّ بالنجوم الثوابت. امّا القسم الثاني ففيهِ سبعة

١) راجع مقالةً وردت في المجلّة الاسيويّة للعلّامة اوجين بوره (E. Boré) يبيّن فيها فضل ابن العبري في الفلسفة (Journ. Asiat. 1834, XIV, 481-508)

٢) Barheb. *Chronicon*, II, 443

فصول يبحث فيها عن هيئة الارض والاجرام العلوية وتقسيم الارض الى سبعة اقاليم وعن الجزائر والبحار والانهار وعن صورة السماء على اختلاف مقام الراصد ثم صعود الكواكب ثم الظلّ واقسام الزمان وبُعد الكواكب عن الارض وعظم اجرامها بالنسبة الى عالمنا. وكلّ هذه الابحاث تحتوي على ابواب كثيرة. وفي اسماء الفصول شاهد صادق على نفاسة هذا الكتاب الجليل الذي يجعل لابن العبريّ مرتبة عُليا بين قدماء الفلكيين. وممّا يزيد الكتاب حسنًا ما جمّلهُ بهِ صاحبهُ من الرسوم والاشكال الهندسية

وفي هذا التأليف اشارات الى بعض الاكتشافات الحديثة اخذنا العجبُ لمّا أطلعنا عليها السيّد المطران ايليا المذكور سابقًا

واحرز لهُ ابن العبريّ ذكرًا طيبًا بتفسير كتاب المجسطيّ لبطليموس المدعو باصلهِ اليوناني (ἡ μεγίστη σύνταξις) وهو تصنيف في علم النجوم وحركات الأفلاك بذل العرب في شرحهِ والتعليق عليهِ النفس والنفيس فلم يرضَ ابن العبريّ الّا ان يتتبّع اسرارَ معانيهِ ويغوص في ابحارهِ لالتقاط دراريهِ. فشرحهُ كما سبق في سنة ١٢٧٣ لمّا كان مقيمًا في مراغة (١ ونأسف على فقد هذا التفسير الذي لم نجد لذكرهِ اثرًا في مكاتب الشرق والغرب

ويلحق بهذا الباب كتاب الزيج الكبير (ܟܬܒܐ ܙܝܓܐ ܪܒܐ) اي معرفة حركات الكواكب لاستخلاص التقويم السنويّ وتعيين الاعياد المنتقلة وضعهُ ابن العبري ليخفف على العامّة مؤونة التفتيش عن هذه الامور المهمّة. وقد بقي من هذا الكتاب نسخة حسنة بين مخطوطات الفاتيكان يبلغ عدد صفحاتهِ نحو الاربعين صفحة

٤ الكتب التاريخيّة

ان كان لابن العبري فضلٌ عظيم بالتصانيف السابقة الذكر فهو في كتبهِ التاريخية افضل منهُ في ما سواها ولولاها لفاتنا خبر حوادث كثيرة وذكر جمٍّ من مشاهير الشرق وكتبتهِ المبرّزين لاسيّما انّهُ اخذ عن غيرهِ من المؤرّخين ممّن ضاعت تآليفهم او عزَّ وجودها. وذلك هو الداعي لإقبال الاوربيين على كتبهِ التاريخية فتسابقوا الى نشرها قبل غيرها

وهذه التواريخ عبارة عن تأليف واسع دعاهُ كتاب تاريخ الازمنة (ܟܬܒܐ ܕܡܟܬܒܢܘܬ ܙܒܢܐ) وقسمهُ الى ثلاثة مجلّدات يحتوي اوّلها كتاب تاريخ الدول يتضمّن اخبار العالم

(١ Chronicon III, 443

ودولهِ العشر الكبرى منذ الخليقة الى قرب سنة وفاة المؤلف (١٢٨٤). وهذا الكتاب اصلهُ بالسريانية طبعهُ لاوَّل مرَّة برُنْس وكِرْش (Bruns et Kirsch) سنة ١٧٨٩ في جزئين ونقلاهُ الى اللاتينيَّة وهي طبعة تشوّهها اغلاط لا تُحصى. وقد جدَّد طبع هذا الكتاب النفيس ووفَّاهُ حقَّهُ من الاصلاح والتحسين حضرة الاب العازاريّ الكلدانيّ العلاَّمة بدجان (Bedjan) سنة ١٨٩٠ وهو مطبوع بالحرف الكلداني البديع

هذا القسم التاريخيّ هو الذي عرَّبهُ ابن العبريّ كما قلنا سابقًا تلبية لطلبة بعض وجهاء المسلمين وقد زاد على هذا الكتاب عدَّة افادات نقلها عن مشاهير مؤرّخي العرب كالطبريّ وابن الاثير. ومن مزايا هذه النسخة العربية تراجم الفلاسفة الحكماء والاطباء الذين اشتهروا في كلّ زمان اخذ كثيرًا منها عن كتاب الحكماء لجمال الدين القفطيّ. وعنهُ روى ما اثبتهُ في تاريخهِ (ص ١٧٦) عن حرق مكتبة الاسكندرية. ولهذا التعريب طبعتان الاولى سبق اليها المستشرق العلاَّمة بوكوك سنة ١٦٦٣ في اُكسُفُرْد مع ترجمتها الى اللاتينية ثم نُقلت الى الالمانية بهمَّة المعلّم بَوّر (Bauer) سنة ١٧٨٣. امَّا الطبعة الثانية فقام بنشرها حضرة الاب صالحاني اليسوعيّ وهي تفضل الاولى من وجوهٍ شتَّى من حيث الاتقان والضبط وحسن الحرف مع ما في ذيلها من الحواشي المهمَّة وهي ملحقةٌ بفهرسٍ مطوّل لاعلام الناس والامكنة يليهِ جدول كامل للمقابلة بين التاريخين المشهورين الهجري والمسيحي

امَّا القسم الثاني من تاريخ ابن العبريّ فهو اجلّ من الاوَّل وانفع وكان العلاَّمة السمعانيّ نقل عنهُ صفحاتٍ مطوَّلة في كتابهِ الشهير الموسوم بالمكتبة الشرقية حتَّى اهتمَّ بطبعه تامًّا وترجمتهِ الى اللاَّتينية السيّدان الفاضلان ابلوس (Mgr Abbeloos) ولامي (Mgr Lamy) وهو مشروع جليل قاما بهِ احسن قيام (في لوڤان سنة ١٨٧٢ و١٨٧٣). ولهذا القسم فرعان يتضمَّن الاوّل في مجلّدين ملخَّصَ اخبار قدماء الاحبار من اهرون اخي موسى النبيّ الى حنَّان نقلًا عن الاسفار المقدّسة وتاريخ يوسيفوس ثمَّ اسماء بطاركة انطاكية من بطرس هامة الرسل الى القديس فلاڤيان (المتوفَّى سنة ٥١٨) مع ذكر تراجمهم واخبارهم. ثمَّ تاريخ ساويرس اوَّل بطاركة اليعاقبة السريان وخلفائهِ الى نمرود الملقَّب بفيلوكسين وهو الذي مرَّ لنا شرح ترقيتهِ الى الرتبة البطركية. وفي ايَّامهِ مات ابن العبريّ. وقد شفع بعضُ كتبة اليعاقبة هذا الجزء من الكتاب بملخَّص اخبار البطاركة الى البطريرك مسعود

زازي المتقاعد عن رتبتهِ في سنة ١٤٩٥ م. ويلي ذلك جدول لبقيّة اسماء بطاركة السريان اليعاقبة ثمَّ من ارتدَّ منهم الى حجرِ الكنيسة الرومانيــة. والفرع الثاني مضمونهُ اخبار من خلف القديس توما الرسول من الاساقفة في العراق منذ زمن القديس ماري مؤسس كرسي المدائن الى غاية الرُّبع الاوَّل من القرن السابع. ثمّ ذكر ابن العبري بعد هؤلاء سيامة ماروتاس المفريان سنة ٦٢٩ م على تكريت وكيف صار هذا الكرسي الى يد مفارين اليعاقبة الذين اورد ابن العبريّ اخبارهم مفصَّلةً الى زمانهِ. وقد الحق اخوهُ برصوما صافي المتولّي رتبة المفريان بعدهُ هذا الجزء من الكتاب بترجمة ابي الفرج اخيهِ. ولهُ مُلحق آخر بقلم بعض كتبة اليعاقبة فيهِ اخبار من حازوا برتبة المفريان من عهد ابن العبري الى اواخر القرن الخامس عشر للمسيح. وقد اتمّ السيد لامي هذه الجداول الى زماننا مع قائمــة بطاركة النساطرة الذين اتوا بعد زمان ابن العبريّ وختمهُ بملخّص تاريخ بطاركة الكلدان المتّحدين مع الكرسي الرسولي من عهد يوحنّا سولاقا(١٥٥٥م). وفي آخر الكتاب فهرس عامّ جزيل المنفعة

وهذا التاريخ الكنسيّ لابن العبريّ كلّهُ فوائد لايستغني عنهُ من اراد معرفة احوال الكنائس الشرقية واخبار بطاركتها ومشاهير رجالها واسباب انحطاطهــا جازى الله خيرًا مؤلفهُ ونفعنا بعلم امثالهِ في شرقنا العزيز

٥ كتبهُ الطبيَّة

قد مرَّ انّ ابن العبريّ كان راسخ القدم في فنّ الطبّ يعدّهُ معاصروهُ حكيمًا نطاسيًّا من احذق اطباء عصرهِ وقد بَيّنَّا ما نالهُ لذلك عند الوجوه والاعيان لاسيَّما ملوك التــاتار من الحفاوة والاكرام. بيد انهُ لم يكتفِ بزاولة هذه الصناعة الشريفة التي عليها يتوقّف اعتدال الامزجة وقوام الابدان بل احبّ ان يفيد آل عصره بتآليفهِ الطبّية ويورث السلف ميراثًا حسنًا اكتسبهُ بحذقهِ وخبرتهِ

وهذا الارث الجليل عبارة عن شروح وتلخيصات وترجمات وتآليف خاصّة. فلابن العبري شرحان مهمّان الاوَّل شرح فصول (Ἀφορισμοί) بُقراط. وكان كتاب هذا الحكيم الملقَّب بابي الطبّ يُعــدّ في سالف الاعصار كأَبجد العلوم الطبّية ومدخلها فعلّق عليهِ كثيرٌ من الاطبّاء شروحًا مطوّلة. وتفسير ابن العبري كان ادقّ نظرًا واصوب مقالاً ممَّن تقدّمهُ صنّفــهُ المؤلف بالعربية وهو اليوم اعزّ من الغُراب الاعصم لم نعثر عليهِ في

المكاتب الاوربيّة او الشرقية (١. والشرح الثاني وضعهُ ابن العبريّ في السريانية على كتاب طائر الشهرة بين العرب وهو كتاب حنين بن اسحق المتطبّب النصراني المتوفّى سنة ٨٧٨ للمسيح. فبلغ ابو الفرج في شرحهِ الى باب الترياق وهو نحو ثلثيهِ فصدّهُ الموت عن اتمامهِ. وهذا الشرح ايضاً عزيز الوجود لعلّهُ هو الموصوف في قائمة كتب باريس الخطّية (تحت عدد ٢٨٦٣). وقد نسب ايضاً بعض المحدثين كوستنفلد (٢ وڤنريخ (٣ ورَيت (٤ ولوكلار (٥ شرحاً لابي الفرج على كتابي جالينوس في المزاج والعناصر وذلك سهوٌ فانَّ هؤلاء الكتبة لم يميّزوا بين ابي الفرج بن العبريّ وابي الفرج بن القفّ وابي الفرج عبدالله بن الطيّب (راجع ص ١٢٢) فعزوا تآليف الواحد الى الآخر مغترّين بتشابه الاسماء

ونقل ابن العبري الى السريانية كتابين في الطبّ احدهما كتاب ديوسقوريدس اليوناني في المفردات الطبيَّة (Περὶ ὕλης ἰατρικῆς) وفيهِ صور النباتات وتعريف خواصّها ومنافعها. والآخر كتاب قانون الشيخ الرئيس ابن سيناء في الطبّ الّا انّهُ لم ينجزهُ

وقد لخّص ايضاً كتاب ديوسقوريدس المذكور فجمع في جلد صغير الحجم جلّ ما تضمّنهُ. ومن ملخّصاتهِ المفيدة كتاب مختصر الادوية المفردة. واصلهُ تأليف نفيس في ثلاثة مجلدات وضعهُ ابو جعفر احمد بن محمّد الغافقي من اعيان الاندلس (٦ استقصى فيهِ ما ذكرهُ ديوسقوريدس وجالينوس وغيرهما فاخذ ابن العبري زبدتهُ واختصرهُ اختصارًا حسنًا

ومن تآليف ابن العبري الخاصّة في الطبّ كتابٌ لهُ عربيّ اللهجة واسع الابواب كثير المنافع جمع فيهِ كلّ آراء الاطباء في الموادّ الطبية. ذُكر في جدول اعمالهِ ولم يُعيَّن لهُ اسمٌ خصوصيّ. وقد صنّف ايضاً كتاباً آخر بالعربية في الطبّ شبّه اسمهُ على السمعاني في المكتبة

---

١) قد انكر العلّامة شتَينشنيدر (Steinschneider : *d. arab. Uberstez. a. d. Griech.*, p. 388) انّ ابا الفرج بن العبري صنّف شرحاً على فصول بقراط. والامر لا شكّ فيهِ كما يؤخذ ذلك من جدول كتب ابن العبري لاخيهِ برصوما صافي (Chronic. III, 479)

٢) Wüstenfeld : *Gesch. d. arab. Aerzte*, n° 240

٣) Wenrich : *De auct. Græc. Versionibus, p.* 242 *et* 270

٤) Wright : *Syriac Literature*, p. 272

٥) Leclerc : *Hist. de la Médecine arabe* II, 149

٦) راجع الجزء الثاني من كتاب طبقات الاطباء لابن ابي أُصيبعة ص ٥٢

الشرقية (الجزء الثاني ص ٢٦٨ في الحاشية) فدعاهُ كتاب فائدة المكسب (ܟܬܒܐ ܕܝܘܬܪܢ ܡܩܢܝܢܘܬܐ) والصواب كما جاء في نسخ حسنة الضبط (١: كتاب منافع اعضاء الجسد (ܟܬܒܐ ܕܝܘܬܪܢ ܡܩܢܝܢܘܬܐ ܕܗܕܡ̈ܐ ܦܓܪܢܝ̈ܐ). واغلب هذه الكتب الطبيَّة قد استولت عليها يدُ الضياع ففُقدت

٦ الكتب النحويَّة واللغويَّة

انَّ ابن العبري لَإمام النحويين السريان بلا منازعة أنسى من تقدَّمهُ بهذا الفنّ كيعقوب الرهاوي (المتوفَّى سنة ٥٨٠ م) والياس الطيرهاني (١٠٤٩ م) وساوير بن ساكو التكريتي (١٢٤١ م) ومعاصره يوحنَّا بن زُعْبي فصار اليهِ المرجع وعليهِ المعوَّل في هذا العلم دون سواهُ. والحقُّ يقال انهُ لم يدع مطلباً الَّا استوعب شرح اصولهِ ومبحثاً الَّا استوفى ذكر فصولهِ. وما خُصَّ بهِ ابن العبري في تآليفهِ النحويَّة انَّهُ حذا مثال العرب واستنهج سبيلهم في ما كتبوهُ عن آداب لغتهم وقد ائتمَّ خصوصاً بكتاب المفصّل (٢ لجار الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ ﻫ (١١٤٤ م) وكان وقتئذٍ هذا التأليف عمدة العرب في النحو وفيهِ قيل:

مُفصَّلُ جار اللهِ في الحُسن غايةٌ ... والفاظهُ فيهِ كدُرٍّ مفصَّلِ
ولولا التُّقى قلتُ المفصَّل مُعْجِزٌ ... كآيٍ طوالٍ من طوالِ المُفصَّلِ

فقسم ابن العبري كتبهُ النحويَّة كالزمخشري الى اربعة اقسام بحث فيها عن الاسماء والافعال والحروف والمشترك من احوال الثلاثة وكان نحاة السريان يقسمونها قبله على طريقة اليونان الى سبعة اقسام. وقد اخذ ايضاً عن العرب كثيرًا من اصطلاحاتهم فجلا الحقيقة عن عدّة امور التبست على مَن تقدَّمهُ من نحاة السريان لقصر باعهم في معرفة آداب العرب مع انَّ بين اللغتين من التشابه ما لا يخفى

ولابن العبري في نحو اللغة السريانية كتابان شهيران طالما تداولتهما ايدي الطلبة ولا تكاد تخلو منهما خزانة من مكاتب اوربَّة الخطّية. فالاوَّل هو كتاب الصحي اي

---

١) Chronic. III, 470

٢) راجع تاريخ اللغة السريانية للدكتور مِركس (A. Merx : *Hist. artis gram. ap. Syros*, p. 229 - 275)

اللُّمَع (ܨܡܚܐ ܕܙܠܝܩܐ) ضَمَّنهُ ما ينيف على مئتين وعشرة مطالب في كلّ ابواب نحو اللغة السريانية (١ وهذا الكتاب قد عُني بنشرهِ في باريس سنة ١٨٧٢ الاب مرتين العلّامة المستشرق الفرنسي. غير انَّ هذه الطبعة قليلة نضارة الحرف وهي مطبوعة على الحجر. والكتاب الثاني هو كتاب المدخل (ܡܥܠܬܐ) صنّفـهُ ابن العبري بالشعر وهو على البحر المعروف بالافرامي ذي الاربع عشرة حركة يقسم كلّ بيت الى شطرَين متوازنَين مصرّعَين كبحر الرجز عند العرب. وقد علّق المؤلف عليه شروحاً وتفاسير مستجادة وهذا الكتاب ملخَّص عن كتاب اللُّمَع السابق ذكرهُ ابوابهُ نحوٌ من ستـين باباً. قد نشرهُ بالطبع المعلّم مرتين المذكور وهو مضمون الجزء الثاني من اعمال ابن العبري النحوية. وكان سبقهُ الى طبعهِ الدكتور برتو (Bertheau) في غوتا سنة ١٨٤٣ وفسَّرهُ الى اللاتينية وذيَّلهُ بشروح وافادات شتّى

وصنّف ابن العبري كتاباً ثالثاً في نحو اللغة السريانية دعاهُ كتاب الشرارة (ܨܡܚܐ ܕܙܠܝܩܐ) فيهِ خُلاصة قواعد هذه اللغة الّا انَّ الموت عاجلهُ قبل اتمامهِ ولا نعلم أبقي منهُ أثر ام لا

وقد نظم ابن العبري قصيدة لغويّة مطوَّلة تنيف على ستمائة بيت من البحر الافرامي المذكور ضمّنها على طريقة حروف المعجم ما وجدهُ من الالفاظ السريانية المتشابهة اللفظ المتباينة المعنى وألحقها بشروح لبيان هذه المعاني المختلفة. وقد طُبعت ايضاً هذه القصيدة في آخر اعمال ابن العبري النحويّة الموصوفة آنفاً ومنها نسختان خطّيتان في خزانة كتبنا الشرقية

٧ الكتب الادبيّة

انهُ لأمر عجيب كيف برّز ابن العبري في كلّ اصناف العلوم وفنون الانشاء التي قلّما تجتمع في رجلٍ واحد لما تقتضيهِ في الكاتب من الصفات الفريدة والسجايا المتنوّعة العديدة. أفلا ترى مثلاً ان كبار الفلاسفة لم يُحكموا نظمَ الاشعار ولم يقصّدوا القصائد لما بين الشعر والفلسفة من التباين. وكذا قُل عن النحو والرياضيّات والعلوم الدينية لا يبرع فيها معاً

١) وقد اخذ عليهِ السيّد الجليل والحبر العلّامة اقليمس داود رئيس اساقفة دمشق على السريان في مقدّمة كتابهِ الموسوم باللمعة الشهيّة في نحو اللغة السريانية (ص ٢٤ و ٢٥) انهُ لم يتبحّر في المباحث المتعلّقة باللسان السريانيّ القديم

الّا من نشأ كابن العبري نسيجَ وحدهِ وفريد دهرهِ فانهُ كان جامعًا لشتات العلوم يُشار اليهِ بالبنان في كلّ ضروبها. وكتبهُ الادبية اذا عرضتَها للنقد وقستَها باجود ما صنّفهُ السريان وجدتها تضاهيها حُسنًا وتباريها انسجامًا. ومن ذلك ديوان شعرهِ السرياني الذي جمع كلّ ما لطف وراق لفظًا ومعنًى. وهذا الديوان قد وقف على ضبطهِ وطبعهِ في رومية العظمى سنة ١٨٧٧ حضرة الاب اوغسطينوس الشبابي الراهب المارونيّ وهو يشتمل على ثمانين قصيدة وفي آخر الكتاب معجم الالفاظ العربية بالسريانية واللاتينية. غير ان هذا المجموع لا يتضمّن كلّ شعر ابن العبري وقد وجدنا في مكاتب اوربّة كباريس واكسفرد وبرلين ورومية نسخًا خطيّـة من ديوانهِ تشتمل ما ينيف على ذلك كثيرًا. وكان الدكـتور لَنجرك (Lengercke) اهتمّ في سنة ١٨٣٦ بطبع قسمٍ منها نقلًا عن نسخة باريس وشفعها بترجمة لاتينية وهي طبعة مشحونةٌ بالاغلاط

ومواضيع هذه القصائد مختلفة تشهد لابن العبري بجودة القريحة والتفنُّن فمنها مديح ومراث ومنها اوصاف وحكم وتاريخ وزهد وعتاب. ولهُ في اسرار الدين الاقوال الحسنة منها قصيدتهُ في الثالوث الاقدس لم تُروَ في ديوانهِ مطلعُها :

ܡܥܝܢ ܒܪܘܝܐ ܢܦܝܫ ܒܟܠ ܘܟܠ ܒܗ ܘܐܝܬܘܗܝ ܗܘ ܟܠ

وهي طويلة. ومن نظمهِ العجيب قصائدهُ الفلسفية في النفس وخواصّها وقواها واتّحادها بالجسد وفي السماء وتكوّنهِ ومحاسنهِ وبروجهِ وافلاكهِ وفي الجسد وحكمة الخالق في تركيبهِ. وقد ورد في جدول كُتُب ابن العبري الذي رواهُ السمعاني في ذيل الصفحة ٢٦٩ من الجزء الثاني في مكتبتهِ الشرقية ذكر قصيدة شينية نظمها ابن العبري في النفس واوصافها على طريقة ارسطو. ولم نجد لها اثرًا في نسخ ديوانهِ بل ولم تُذكر في بقية قوائم تآليفهِ فتأمَّل

وقد امتاز ايضًا شاعرنا المُفلق بالقصائد اللاهوتية على طريقة الصوفيين فطورًا يتغزّل بالكمالات الالهية كعمر بن الفارض ويصفها طورًا بصورة الخمرة الطيّبة وتارةً بهيئـة فتاة فريدة الخصال بهيّة المنظر كما في نشيد الانشاد. ولا يجهل من لهُ المام بالشعر السرياني قصيدتهُ في الحكمة الالهية المستهلّة بقولهِ :

ܦܬܚ ܠܝ ܒܒܟܐ ܠܚܟܡܬܐ ܕܡܫܬܒܚܐ ܚܟܡܬܐ ܐܒܘܗ

وهذه القصيدة الطنّانة كان العلاّمة جبرائيل الصهيوني الماروني طبعها لاوّل مرّة في باريس سنة ١٦٢٦ فجدّد طبعها القس يوحنّا نطين اللبناني في رومية سنة ١٨٨٠ وعلّق

عليها شرحًا وجيزًا بالعربية . وقد استحسنها بعض المحدثين فنظمها بالشعر العربيّ وهذا اوَّلها (١ :

	بدتْ تجلو بعالمنا سناها	فنورُ الشمس يخجلُ من ضياها
	فتاةٌ راق منظرها ورقّت	سهامٌ ارسلتها مقلتاها
	بتول كاعبٌ امٌّ عجوزٌ	صفاتٌ ليس يجمعها سواها
ومنها :	بها النور انجلى والليل أدجى	واما النيّرانِ فناظراها
	وقد غدت العناصرُ والدراري	تُساسُ بها وتلمع في سماها
	ومنها البرق والصعَقات كانت	فوا عجبًا لما صنعت يداها
ومنها :	شُغفتُ بحُسنها فضنيتُ وجدًا	بها من يوم أُظهر لي بهاها
	طويتُ على الطوى صديانَ أرعى	سقيمًا نجمَ ليلٍ ما تناهى
	سلكتُ لاجلها في كلّ شعبٍ	فما بقيت بلادٌ لم أطاها
	ولولا انّ بي داءً عَياءً	لَما عفتُ التطوُّفَ في رضاها

وكلُّها معانٍ مبتكرة اخرجها ابن العبري مخرجًا حسنًا بنظم يزري باللآلئ

ومن تآليفهِ الادبية غير المطبوعة كتابهُ الموسوم بدفع الهمّ صنَّفهُ بالعربية منهُ في خزانة مكتبتنا الشرقية نسختان حسنتان . وقد نقلنا عنهُ في مجموعنا الادبي لكليّات اوربة (Chrestomathia arabica, p. 253) نبذة في منفعة الشكر ومضرَّة الكُفْر . والكتاب مقسوم الى اثني عشر بابًا هاك اسماءها : ١ً في فضيلة الديانة . ٢ً في منفعة الشكر . ٣ً في مدح العفّة . ٤ً في شرف التواضع . ٥ً في حسن الرحمة . ٦ً في فائدة التوبة . ٧ً في فضيلة العقل . ٨ً في منفعة المشورة . ٩ً في مدح حُسن الخُلق . ١٠ً في شرف الكرم . ١١ً في حسن العدل . ١٢ً في فائدة الحلم . وطريقة الكاتب في كلّ باب ان يعرّف ما اراد وصفهُ ويقابلهُ بضدّهِ لتظهر خواصُّهُ بالمقابلة ويؤيد ذلك بآيات الكتب المنزلة واقاويل الحكماء وامثال الشرفاء وتاريخ الاقدمين

ومنها ايضًا كتاب صنَّفهُ بالسريانية دعاهُ بالقصص المضحكة (ܬܫܥܝܬܐ ܕܡܘܬܒ ܡܓܚܟܢܐ)

---

١) راجع دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني الجزء الاول ص ٥٩٥

وهو مجموع مطوّل ضمَّنهُ صاحبهُ احاديث مطربة وروايات مبهجة واقاويل فكاهية غايتها ترويح النفس وبسط القلب. وهذا الكتاب قد انجز طبعَهُ في لندن عام ١٨٩٦ المستشرق العلاَّمة الشهير بدجر (Badger) واحكم ضبطهُ وترجمهُ الى الانكليزية وذيَّلهُ بعدَّة حواشٍ تاريخية ولغوية وادبية

٨ كتب شتّى

يبقى لنا لتعريف اعمال ابن العبري ان نذكر لهُ بعض تآليف لم تدخل في الابواب السابقة لعدم علاقتها بموادّها فأفردنا لها باباً خاصّاً

واوّل هذه التصانيف كتاب لابي الفرج في تفسير الاحلام (ܟܬܒܐ ܕܦܘܫܩ ܚܠܡܐ) وضعهُ وهو في ريعان شبابهِ بناءً على مراقبة الكواكب ورَصْد البروج كما فعل ابن سيرين عند العرب. ولا يخفى ما في هذا الامر من الشعوذة والخرافات اذ لا يجوز تصديق الأحلام ما لم يأتنا الله بدليلٍ صادقٍ على ارادتهِ عزَّ وجلّ كما فعل مع يوسف الحُسن او دانيال النبي

والكتاب الثاني الذي لم يمكنّا ادراجهُ فيما سبق هو كتاب تفسير إيروتاوس (ܟܬܒܐ ܕܦܘܫܩ ܕܐܝܪܘܬܐܘܣ) وكتاب ايروتاوس من تآليف اسطفان بَرْصُدَيلي في اوائل القرن الخامس للمسيح كان هذا من زنادقة عصرهِ يذهب الى مذهب الطبيعيين والملاحدة يقول بتألّه الكائنات وينكر خلود عذاب الجحيم فنفث سمّ تعاليمهِ في كتابٍ نسبهُ لايروتاوس تلميذ بولس الرسول على زعمهِ واوّل اساقفة اثينة قبل القديس ديونيسيوس الاريوباغي. فسرى هذا التأليف بين هراطقة السريان يتناقلونهُ سرّاً. ولمّا جلس على كرسي انطاكية تاودوسيوس البطريرك اليعقوبي (٨٨٧ — ٨٩٦ م) وضع عليهِ شرحاً مطوَّلاً فجاء بعدهُ ابن العبري وهذّب هذا التفسير ورتّبهُ (١ وكان هو عنهُ في غنًى سامحهُ الله. وفي مكتبتنا الشرقية نسخةٌ قديمة من هذا الكتاب السرّي وجدناها في مدينة آزخ ينقصها بعض صفحات في اوّلها وآخرها وهي تختلف عن نسخة باريس (Fonds syriaque, Ms. 227, n° 4) ولعلّها اصل كتاب بَرْصُدَيلي فانّها توافق ما كتبهُ فرتنغام (٢

(١ راجع Frothingam: *Stephen Bar Sudaili and the book of Hierotheos*, p. 8

(٢ *Ibid.*, 91 - 111

عن أقسام هذا الكتاب وهو سبع مقالات او ميامر وكلّ مقالة تحتوي عدّة فصول

وقد ورد ايضًا لابن العبري في بعض كتب باريس الخطّية (عدد ١٤٩ ص ١٦١) خطبةٌ في التوبة مكتوبة بالكرشوني تُقرأ عند اليعاقبة كمرثاة على الجنازة

فهذه هي الكتب او قل بالاحرى الدرر الثمينة التي خلّفها ابن العبري لنصارى الشرق وهم يتوارثونها ككنزٍ يفتخرون بهِ ونبراس يستضيئون باشعّتهِ طالما لاح كوكب في السماء وغرّدت فوق الأيك ورقاء

١٢

قد انجزنا في ما سبق لنا من الكلام بوعدنا ان نستقري اعمال ابن العبري ونستوفي بذكر ما انتجتهُ قريحتهُ الوقّادة من التآليف النفيسة . بيد انّنا لا نودّ ان نختم مقالتنا هذه دون ان نكشف القناع عن بعض ما فرط لابن العبري من الاغلاط ليأخذ القرّاء منها حذرَهم عند مطالعة كتبهِ العديدة والمثل يقول : انّ غلطة العالِم يضلُّ لها عالَم . وقيل ايضًا : زلّة العالم يُضرَب بها الطبل وزلّة الجاهل يُخفيها الجهل

واوّل ما نأخذ على ابن العبري انتصارهُ لشيعة المنوفيزيتيين اي القائلين بطبيعة واحدة في المسيح . ومن المعلوم انّ هذه البدعة ناصبت المجمع الرابع المنعقد بخلقيدونيـة (سنـة ٤٥١ م) حيث أبسل الآباء اوطاخيَ وديوسقورس وبرصوما وندّدوا باضاليلهم فدحضوها . الّا انّ اشياع هؤلاء المبتدعين لم يزالوا يتلوّنون كابي براقش ليتملّصوا من حكم الكنيسة وكثيرًا ما تضاربت اقوالهم في طبيعتَي المسيح . فكانوا في بادئ الامر لا يسلّمون الّا بوجود طبيعة واحدة . فلمّا بيّن لهم الآباء صريحًا ببراهين عقليـة ونقليّة ان في قولهم لَشططًا كبيرًا اخذوا يقولون بالطبيعتين . الّا انّ بعضهم زعموا انّ تينك الطبيعتين امتزجتا امتزاج الخمر بالماء فنتج عن اختلاطهما طبيعة اخرى جديدة . ومنهم من ذكر هذا الامتزاج غير انّهم ارتأوا انهُ حصل باتحاد الطبيعتين طبيعة مركّبة (ܟܝܢܐ ܚܕ ܡܪܟܒܐ) او طبيعة مضاعفة (ܟܝܢܐ ܚܕ ܥܦܝܦܐ) وهذا القول الاخير هو هو الذي شاع عند اليعاقبة . وفي كتُب ابن العبري ما يُشعر بهذا الضلال لا سيَّما في الدستور الذي وضعهُ للايمان وفي كتابهِ منارة الاقداس (راجع ص ٢٣)

وممّا قالهُ في قانون الايمـان : « انّنا نؤمن . . . انّ في سيدنا يسوع المسيح طبيعتين هما اللاهوت والناسوت . وانّ اتحاد لاهوتهِ مع ناسوتهِ اتحادٌ عجيب يفوق كلّ وصف صار

بلا اختلاط ولا تبلبـل ولا تغيُّر ولا تحوُّل ولا امتزاج. وقد سَلِم الفرق بين الطبيعتين القـائمتين في ابنٍ واحدٍ ومسيح واحد واقنوم واحدٍ ». وهو لعمري قول جدير بأن يُرقم بماء الذهب الّا انَّ صاحبهُ افسدهُ او قُل بالاحرى انَّهُ ناقضهُ بما اردف: « والمسيح جوهر واحد ومشيئة واحدة وقوَّة واحدة وعمل واحد ». فقولهُ جوهر واحد (ܚܕ ܐܘܣܝܐ) يبيّن ان ابن العبري جهـل معنى الجوهر او تجاهل فيهِ. والجوهر كما لا يخفى هو الطبيعة المنفردة فترى كيف يكون المسيح طبيعتان ولا يكون لهُ جوهران ؟

وامَّا قول ابن العبري انَّ « المسيح مشيئة واحدة وقوَّة واحدة وعمل واحد » فقـد زاد بهِ على ضلالهِ ضلالًا وتمذهب بمذهب المنوتليتيين القـائلين بالمشيئة الواحدة. أفنسي سامحهُ الله صلاة المسيح في البستان حيث يقول لابيهِ (متّى ٢٦ : ٣٩) : ليس كمشيئتي بل كمشيئتك ؟ ولا ريب في انَّ الربّ يقابل هنا بين المشيئة البشريَّة والمشيئة الالهية. او كيف استطاع ابو الفرج ان يقول بعمل واحد في المسيح ؟ ألعلَّهُ يقول انَّ الاكل والشرب والنوم والموت من اعمال الطبيعة الالهية ؟ او يزعم انَّ إحياء الموتى وطرد الشياطين وفعل المعجزات من اعمال الانسان ؟ . فبالحقيقة لا نفهم كيف فات ذلك ابنَ العبريّ مع سموّ مداركهِ وغزارة فهمهِ. فسحقًا للضَّلال فانَّهُ يعمي البصيرة ويُتيه صاحبهُ في بيداء الوهم والتُّرَّهات

هذا وانَّ اليعاقبة في زماننا لا يتجاسرون على ان يفرطوا في مقالهم عن طبيعتي المسيح ومشيئتيهِ وكثيرًا ما يضربون الصفح عن هذه المباحث الخطيرة لئلَّا يدحض الكاثوليكيون حججهم الباطلة وقد بلغ الامر في ذلك الى انَّهم لم يأتوا بذكر الطبيعتين في كتاب تعليمهم المسيحي المطبوع في دير الزعفران سنة ٢٢٠١ لليونان (١٨٨٩ م). ومنهم من يذهب الى انَّ هذه المسائل من عرَضيَّات الايمان ليس تحتها كبير امرٍ فيسوغ القول بها او العدول عنها على سواء دون ان يلحق بجوهر الايمان ضرر. وهكذا ارتأى ابن العبري نفسهُ في آخر مقالتهِ عن الهرطقات في كتاب منارة الاقداس

ومن عجيب الامور انَّك لا تكاد ترى في دساتير الايمان التي كتبها بطاركة اليعاقبة في هذا العصر من هذا القبيل ما تنبذهُ الكنيسة الكاثوليكية. ودونك ما ورد في دستور الايمـان للبطريرك جرجس الرابع سنة ٢١٣٢ لليونان (١٨٢٠). واصل هذه الكتابة

بالكرشوني محفوظ في خزانة مكتبتنا الشرقية تيسّر لنا الحصول عليهِ في ماردين منذ ثلاث سنوات (١ قال :

« .... سادساً ونؤمن ونعترف انَّ الجسد الذي اتحد بهِ الكلمة لم ينزل معهُ من السماء وليس هو خيالًا بل جسدًا حقيقيًا ابن طبعنا ذا نفسٍ عاقلة ناطقة. وأنَّ الطبيعة الغير المائتة والغير القابلة الآلام والاعراض الجسدانية سرتْ واتَّحدت بالجسد ذي الطبيعة المائتة والقابلة الآلام والاعراض وصار منهما مسيحٌ واحدٌ وابنٌ واحدٌ وشخصٌ واحدٌ فاعلٌ للآيات والعجائب (٢ وقابلٌ للاعراض كالتَّعب والنَّصب والآلام (٣ وطُعن بالحربة فجرى من جنبهِ دمٌ وماء ومن عاين شهد وشهادتهُ حقٌ (يو ١٩ : ٣٥). وذلك بالتدبير السريّ الذي هو يعلمهُ وقد شاء بهِ اذ ليس الناسوت فعل بهِ وحدهُ هذا الفعل كأنَّ اللاهوت مفترقٌ منهُ او بعيدٌ عنهُ . حاشا . بل باتحاد اللاهوت بهِ لانهما متَّحدان بوحدانيَّة غير مفترقة في كلّ شيء من التدبير... لا في القوَّات اللائقة بالله ولا في الآلام اللائقة بالانسان بل الطبيعتان ثابتتان بوحدانيَّةٍ لا تضمحلّ ولا تفترق. والطبيعتان غير مختلطتين لئلَّا يضمحلَّا بذَوق الموت بل الظافرةُ بالموت واعراضهِ متَّحدةٌ بلا اختلاط مع التي ظفر بها الموتُ.... وهكذا شهد القديس مار افرام (في ميمرهِ الذي وضعهُ على الامانة) حيث يقول: « لو لم يكن انساناً كيف كان يحملهُ سمعان الشيخ على ذراعيهِ ولو لم يكن الهًا كيف كان يطلب منهُ الانطلاق بالسلام الخ » . وقال القديس يعقوب النصيبينيّ في كتاب الغفران... « خرج من بطن البتول بجمال يفوق الطبيعة بما انَّهُ اله والتفَّ بالقماطات بما انهُ انسان. سبَّحتهُ الملائكة بما انَّهُ إِله ونظرهُ الرعاة بالمغارة بما انَّهُ انسان الخ » . فلأَجل هذا نقول ان كلّ ما يليق بالناسوت فهو لهذا المسيح الواحد... الذي احتمل الآلام بجسدهِ واقام الاموات بلاهوتهِ فاذًا ليس هو اثنين بل واحدًا مات بالجسد كانسان وظفر بالموت كاله... »

١٣

ومن اغلاط ابن العبريّ التي بها شرد عن الصراط المستقيم قولهُ في كتاب منارة

١) وفي خزانة سجلّات بطاركة السريان الكاثوليك في ماردين عدَّة دساتير ايمان خطَّتها البطاركة اليعاقبة تشبه هذه قد اطلعنا عليها سيادة المطران حنَّا معار باشي الجزيل الاحترام

٢) اعني من حيث هو اله ٣) يريد من حيث الناسوت

الاقداس بانبثاق الروح القدس من الآب دون الابن. وهذا زعم غريب لم نعهد بمثلهِ عند قدماء اهل ملّتهِ اللهمَّ الّا في اعمال فيلوكسين المنبجيّ. واقوى برهان يفنّد هذا القولَ الشهاداتُ العديدة الواردة في كتب السريان والكلدان عن انبثاق الروح القدس من الآب والابن معًا. ونكتفي هنا بذكر صورة الايمان التي وضعها آباء مجمع المدائن (كتيزيفون) في سنة ٤١٠ للمسيح قبل ابن العبري بنحو تسعمائة سنة فجاء في معرض عقيدتهم ما نصُّهُ: «ونعترف بالروح القدُس الحيّ البارقليط المنبثق من الآب والابن». واتى ايضًا في ميامر يعقوب السروجيّ من مشاهير كتبة القرن الخامس: «ونؤمن ونعترف بان الروح القدس ينبثق من الآب والابن». وكتب البطريرك ديونيسوس الثالث في القرن العاشر الى مِنّاس بطريرك الاسكندريّة: «نعترف ان الآب ليس وجودهُ من احدٍ اذ هو موجود غير مولود وانَّ الابن مولود من الآب منذ الأبد وانَّ الروح القدس فائضٌ من الآب والابن»

ومن الشهادات التي تدخل في هذا الباب وتدحض مزعم ابن العبري دحضًا تامًّا ما اتى في كتب السريان الليتورجيّة. فمثال ذلك ما يُقرأ في نافور القديس كسوسطوس (١: «قدّس يا رب هذه التقادم بان يحلّ عليها روحك القدّوس الذي ينبثق منك ازليًّا ويستمدّ من ابنك استمدادًا جوهريًّا»

وقد ورد في نافور ماروثاس والبطريرك اغناطيوس مثل هذه الاقوال التي تشير الى آية الانجيل في يوحنا (١٦: ١٤—١٥): «متى جاء روح الحقّ... هو يمجّدني لأنَّهُ يأخذ ممَّا لي ويخبركم. جميع ما للآب فهو لي من اجل هذا قلتُ لكم انَّهُ يأخذ ممَّا لي ويخبركم». ففي قول الربّ هذا برهان جليّ على انبثاق الروح القدس من الابن اتّفق عليهِ اكثر مفسّري الكتاب المقدّس من آباء الكنيسة الغربية والشرقية لا سيَّما السريانيّة

ولا نظنّ ان اعتقاد اليعاقبة في يومنا هذا يختلف عن ايمان اجدادهم. فانَّ البطرك جرجس الرابع الذي سبق ذكرهُ يقول في دستور ايمانهِ ما نصُّهُ: «ليس هو (الروح القدس) آبٌ ولا هو ابن بل روح قدس وخاصّتهُ الانبثاق لانهُ منبثق من الاب ومستمدّ من الابن. قال القديس كسوسطوس بابا رومية في كتاب رتبة القدّاس في دعوة الروح القدس: المنبثق منك ازليًّا والمستمدّ من ابنك جوهريًّا الخ». وورد في التعليم المسيحي المطبوع في

---

١) راجع Renaudotii *Liturg. Orient. Collectio.*, II, 136

دير الزعفران (ص ٦٤) برهان آخر على اعتقاد اليعاقبة حالًا بانبثاق الروح القدس من الابن فانَّ كاتب هذا التعليم يبيّن هناك انَّ الروح القدس هو روح يسوع ومن ثمَّ منبثق منهُ ويسند قولهُ الى آية سفر اعمال الرسل (١٥ : ٦) كما وردت في الترجمة السريانية. فان صحَّ القول بان الروح القدس ينبثق من الآب لانهُ يدعى روح الآب (متّى ١٠ : ٢٠) فيصحُّ ايضًا القول بانهُ منبثق من الابن لأنَّهُ يدعى روح يسوع

١٤

ولابن العبري ايضًا اضاليل أُخر وردت في كتبهِ منها زعمهُ في منارة الاقداس وكان سبقهُ الى هذا القول ديونيسيوس برْصليبي († ١١٧١) انَّ جوهرَي الخبز والخمر لا يستحيلان الى جسد ودم المسيح في القربان بل يتَّحد بهما لاهوت المسيح مع بقائهما خبزًا وخمرًا. وهذا غلطٌ واضح ينفيهِ تعليم الكنيسة اليعقوبية فضلًا عن الكنيسة الكاثوليكية. وهاك ما ورد في الصفحة ١٨٠ من تعليم اليعاقبة :

س هل يبقى الخبز خبزًا والخمر خمرًا بعد التقديس

ج لا بل بعد التقديس يصير الخبز جسدًا والخمر دمًا

وفي الاسئلة والاجوبة التالية يبيّن كيف انَّ عوارض الخبز والخمر باقية مع استحالة جوهريهما . وايمان اليعاقبة في هذا الامر لم يطرأ عليهِ ادنى اختلاف

وجاء ايضًا لابن العبريّ في كتاب المنارة قولٌ لا يرضى بهِ الايمان الكاثوليكيّ نقلهُ عن موسى برْكيفا († ٩٠٣ م) احد مشاهير شيعتهِ ويزعم كلاهما انَّ نفوس الابرار لا تدخل السماء بعد الوفاة بل تبقى في الفردوس الارضيّ الى يوم الدينونة فتجتمع باجسادها حينئذٍ وترث الحياة الابدية. وزاد ابن العبريّ على ذلك انَّ هذا الفردوس سيكون بعد القيامة مسكنًا لانفس قسم من البشر ليسوا من الابرار ولا من الطالحين

وكلا هذين القولين فاسد. امَّا الاول فيبطلهُ اعتقاد معظم الكنائس الشرقية والغربية وهي كلُّها تكرّم اولياء الله وتلتجئ الى شفاعتهم وتنعتهم بمشاهدتهِ تعالى عيانًا وذلك ممَّا لا يصحُّ القول بهِ لو لم تحظَ هذه النفوس برؤيا الله عزَّ وجلّ قبل القيامة. وامَّا الثاني فهو قول لا يُعبأ بهِ والنصارى جميعًا لسان واحد في رفضهِ فانَّهم على اختلاف مذاهبهم

يقرّون بانَّ بعد الدينونة العامَّة حالتين فقط فيحظى البشر بالنعيم او يُلقَون في الجحيم وكلاهما ابديٌّ لا ينتهي (راجع متّى ٢٥: ٤٦ الخ)

وقد استثنوا من هذا الحكم الاطفال المائتين قبل العماد فانَّهم يُحرَمون معاينة الله لكنَّهُ لا يمسّهم عذاب الحسّ. امَّا سكناهم فقد تضاربت الآراء في تعيينها. فقال قوم انَّها الينبوس وقال آخرون انَّهم يسكنون الفردوس الارضي وقيل انَّهم يقطنون الارض ويحظون بسعادةٍ طبيعية

١٥

هذا وانّ ابن العبريّ قد اتَّبع في بعض مزاعمهِ آراء ضعيفة (١ لقدماء اللاهوتيين والفلاسفة والطبيعيين لا يسعنا هنا تعدادها ودحضها فعلى من يعثر عليها في كتبهِ ان يعرضها على معيار الحكمة ويقابل بينها وبين ما تقرّر الآن عند علماء عصرنا فينكبَ عن جادَّة الضّلال

ومع ما ذكرنا لابن العبريّ من الاغلاط لا ننكر ما لهُ من عميم الفضل وطول الباع في جميع علوم الاقدمين وقد قيل ليس جوادٌ الَّا ويعثر ولا كامل الَّا الله عزَّ وجلَّ ولنا نحن الكاثوليكيين اسبابٌ خاصَّة تبعثنا على إطراء هذا الرجل العظيم والثناء عليهِ لانَّهُ مع كونهِ من شيعة انفصلت عن الكنيسة الرومانية منذ القرن الخامس قد اتى بشواهد جمَّةٍ تُفصح عن صحَّة عقائدنا واستقامة ايماننا. فان استقريت مصنّفاتهِ لا تكاد تجد تعليماً واحدًا من تعاليم الكاثوليكيين ممَّا نكرهُ عليهم أخصامُهم الَّا وتجد في تآليف ابن العبريّ عليهِ شهاداتٍ لا يشيبها ريبٌ. ولو سردنا اقوالهُ عن كلّ هذه المعتقدات بابًا بابًا لاتَّسع بنا المجال وطال المقال وحسبنا ان نذكر هنا بعض اقوالهِ في رئاسة القديس بطرس والاحبار الرومانيّين

فممَّا ورد لهُ في هذا الشأن ذِكرُهُ لهامة الرسل في سجلّ عظماء الاحبار كخليفةٍ لقيافا وحانان

١) وفي الصفحة ٥٠ من تاريخ الدول قول غريب لابن العبري زعم فيهِ انَّ كتاب سفر الجامعة لسليمان الحكيم يُشعر بمبادئ الدهرين وان مؤلفهُ ذهب الى معتقدهم. وقد دحض حضرة الاب صالحاني هذا الضلال في حاشية الكتاب. ونزيد على قولهِ ان هذا السفر من جملة الكتب المنزلة التي تقرّ بوحيها الكنيسة السريانيَّة فكيف امكن ابن العبري ان ينسب الضلال لروح القدس تعالى الله عمَّا قالهُ علوًّا كبيرًا

آخريْ احبار العهد العتيق فقال في تاريخهِ الكنسيّ (١ : ٣١) « وانتهت (بقيافا وحنان) رئاسة الكهنوت القديمة وابتدأت رئاسة الكهنوت الحديثة التي ثبَّتها مخلّصنا لمَّا جعل بطرس هامةّ للرسل وسلَّمهُ مفاتيح ملكوت السماوات. فقام اذن بعد رؤساء كهنة العهد العتيق بطرس رئيسًا لكهنة العهد الجديد ». فلعمر الحقّ انّ هذا القول لخالٍ من المعنى لو لم يفهم ابن العبريّ انّ لبطرس الصفا الرئاسة التامَّة على الرسل اخوتهِ والكنيسة جمعاء وانّ لخلفائهِ ليس فقط حقوق التقدُّم والشرف على سائر الكنائس بل ايضًا حقوق الامر والسلطان كما كانت لعظماء احبار العهد العتيق. وفي شرح ابي الفرج على قول الربّ في انجيل متَّى (١٦ : ١٨) وفي انجيل يوحنَّا (٢١ : ١٥ — ١٧) ما يُشبه قوله السابق لا حاجة لاثباتهِ هنا

وقد ذكر ايضًا ابن العبريّ مرارًا عديدة في كتبهِ كرسيّ رومية او بعضَ احبارها الأَجلاَّء وهو لا يسهو عن ان يُشعر باعترافهِ لهم بالرئاسة الكاملة فيدعو كنيسة رومية « امّ جميع الكنائس ورأسها » ويدعو احبارها « رؤساء البيعة الجامعة واصحاب الكرسيّ الاوَّل » .

بل اثبت ايضًا في كتاب الهداية قانون المجمع النيقاوي الوارد في هذا الصدد وهو قول الآباء : « ولتكن الكراسيّ البطريركية اربعةً بعدد اربعة انحاء المعمور. امَّا الرئاسة العظمى على هذه الكراسيّ فهي لرومية ». ولابن العبري في هذا الكتاب ملاحظات وتفاسير على قوانين المجامع لاسيَّما انَّهُ اذا بطل بعض القوانين ينبّه على ذلك ولا تراهُ هنا فاه ببنت شفة وسكوتهُ شاهد على انَّهُ يقرّ بقوّة هذا القانون القديم ويسلّم بصحّتهِ. وهذا برضٌ من عدّ التقطناهُ من اعمال ابن العبريّ وفيه كفاية لمن طلب الهدى

ونختم هذه المقالة طالبين من مراحمهِ تعالى ان يزيل من بين الشعوب المسيحية كلّ خلاف وخصام ليرعوا المراعي الخصبة في حظيرة واحدة تحت رئاسة راعٍ واحد. فانَّهُ السميع المجيب

النفس البشرية

مقالة مختصرة

صنّفها الاب العارف بالله ابو الفرج المعروف بابن العبري

قد كنّا ذكرنا في معرض كلامنا عن اعمال ابن العبري ومصنّفاتهِ مقالةً موجزة كتبها هذا العالم النبيل في تعريف النفس وخواصّها (راجع الصفحة ٢٦) . وقلنا هناك ان هذه النبذة لم يرد ذكرها في جداول تآليف العلاّمة المذكور ووعدنا بنشرها لِما فيها من الفوائد المختصة عن العقائد الدينيّة فضلًا عن انّها تحتوي على اصدق ما قالهُ الفلاسفة الاقدمون في النفس وخواصّها . فالحقناها بترجمة ابن العبري لتكون كمثالٍ يشهد بطول باعهِ في العلوم الفلسفيّة

وقد نقلنا هذه الطُرْفة عن نسخة خطّية مصونة في خزانة كتبنا الشرقية . وقد قابلناها مع نسخة اخرى اسعدنا الحظّ على اكتشافها . فوجدنا بين النسختين بعض اختلاف سوف ننبّه عليهِ اذا اقتضى الامرُ ذلك

الاب لويس شيخو اليسوعي



فاتحة القول للمؤلف رحمهُ الله

الحمد لله الذي ابدع الوجود بعد العدم. ونفى بذلك عمّا سواهُ الأزليّة والقِدَم. وبعدُ فانّ هذا مختصرٌ في علم النفس الانسانية. لم نذكر فيهِ الّا المهمّ من دواعي المطلوب من أماراتها وخواصّها السنيّة. والغرض من ذلك الجمع بين الآراء الفلسفية والشرائع الالهية. لأنّ القوم المؤيّدين بشدّة الصفا (١ يشرقُ على صفحات قلوبهم الذكية ما يوافق البراهين العقلية. ونطلبُ في ذلك المعونة والتوفيق من المبدع الاوّل. الذي اليهِ الرُّجعى وعليهِ المعوَّل. ونسألهُ الالهام والتأييد. وتسديد ابهام الظنّ والتقليد. بمَنّهِ ولطفهِ آمين

الفصل الاوّل

في بيان النفس قبل الاشتراك

نقول انّ اسم النفس يقع باشتراكٍ على معانٍ كثيرة مثل البارئ تعالى (٢ وجملة الانسان (٣ وجسد الانسان وحدهُ (٤ ودم الحيوان (٥ والقوّة الحسّاسة التي في الحيوان والقوّة المربّية للاجسام النباتية والنفس الناطقة التي تدبّر جسم الانسان وتقبل العلوم والاوامر الالهية وتميّز الحقّ عن الباطل والحَسَن عن القبيح ولها القدرة على استخراج الصناعات واستنباط الامور الخفية بالقياسات النقلية. ونحن غرَضنا (٦ في هذا المختصر الكلام في هذه النفس المذكورة فقط (٧ دون غيرها

---

١) الصفا في اللغة المَيْل ولعلّ المؤلف اراد بها التعلّق بالدين او يكون في الاصل تصحيف

٢) ومنهُ يقال النفس الالهية اي الذات الالهيّة

٣) كما جاء في الكتاب (تك ١٧ : ١٤) : « تُقطع تلك النفس من شعبها » اي ذلك الانسان

٤) وفي التكوين (٩ : ٥) في الاصل العبراني : امّا دماء انفسكم فأطلبها من يد كل وحش ... ومنهُ قول اشعيا (٥٣ : ١٢) : « افاض للموت نفسهُ »

٥) يقول العرب : دفق فلان نفسَهُ اي دَمَهُ

٦) وفي احدى النسختين : عزمنا

٧) اي النفس المراد بها القوة الناطقة

الفصل الثاني

في اقامة البرهان على وجود نفس الانسان

نقول انّ وجود النفس الانسانية امر فِطْريٌّ لا يحتاج الى دليل وانما دليلها واضحٌ عن اسم النفس فانّ الاسم دالّ على مسمّاهُ كما قال الحكيم ارسطاطاليس — وايضًا نقول انّ الانسان يعقل ويَعْلَم ويُدرك ويفهم ويفعل الاشياء التي تعجز باقي الحيوانات عن فعلها واذا فارقتهُ النفس عَدِم تلك الافعال باسرها. فظهر ان تلك الافعال كانت بنفسهِ المذكورة

الفصل الثالث

في تخالف الاراء على جوهر النفس

من القدماء من زعم ان النفس نارٌ. ومنهم من قال انّها هواء. وقال آخر انّها ماء(١.

١) يحسن بنا في هذا المقام ان نعرّب نبذةً لهرمياس الفيلسوف النصرانيّ الذي عاش في القرن الثاني للمسيح وفيها يعدّد اقوال فلاسفة اليونان في حقيقة النفس وجوهرها ومصيرها ويسخر بآرائهم المتباينة المتضاربة في ذلك قبل ان يؤيد صحّة معتقد النصارى في هذه الامور

(قال هرمياس): «سَلِ الفلاسفة عن جوهر النفس فيجيبك ديموقريت انّها نار ويزعم الرواقيون انّها هواء لطيفٌ. وغيرهم انّها عَقل. امّا هِرَقليت فيذهب الى انّها الحركة. فيردُّ عليهِ غيرهُ بقولهِ انّها ريحٌ او شعاعٌ من الكواكب. يدّعي فيثاغوراس بانّها عددٌ محرِّك وهِپّون بانّها نُطْفة وديناركُ يدعوها مزيجًا مؤتلفًا. البعض يجعلونها دمًا وغيرهم ملاكًا. فيا لله من هذه الاراء المتناقضة او بالحريّ بؤسًا لاضغاث احلام ليس فيها شيء من الصواب

«وهب انّ الفلاسفة لا يتّفقون على معرفة جوهر النفس أتراهم اصدق في بيان خواصّها فتسمع هذا يقول انّها خُلقت للملذّات وذاك ان غايتها الشر ويزعم الغير انّها تأبى الخير والشرّ معًا. ومنهم من يقرُّ بخلودها وغيرهم يرون انّها قابلة للموت. ويرتإي البعض انّها تعيش مدّة بعد الجسد ثمّ تفنى والبعض انّها تتقمّص في جسد الحيوانات امّا لتبقى فيها وامّا لتتحوّل الى هيئات شتّى. وذهب آخرون الى انّها تبقى الوفًا من السنين. فللّه درّهم من علماء يعدون النفوس بَربْوات من السنين وهم لا يستطيعون ان يُطيلوا حياتهم الى المئة سنة

«فعلى زعم هؤلاء ماذا يكون من امري. فهذا يجعلني مخلَّدًا فيا لسعادتي وذاك فانيًا فيالحسرتي. هذا يقسّمني الى ذرّات متناهية في الصغر فأصير تارةً ماءً وتارةً هواءً وحينًا نارًا وآناتٍ سبعًا ضاريًا او سمكةً. فان اعتبرتُ ذاتي استولى عليَّ الرعب فلا اعلم بايّ اسمٍ انعتُ نفسي هل انا

وآخرا انّها مجتمعة من امتزاج الاخلاط (١ وقومٌ آخرون قالوا انّها دُرَرٌ مجتمعة وآخرون ظنُّوا انّها من مَزْج البدن (٢ . ونحن نزذل (٣ جميع هذه الظنون الفاسدة والآراء المتضادَّة عند اثباتنا انَّ النفس ليست بجسم ولا بجسمانية (٤ ولا تفتقر الى محلّ تحلُّ فيهِ

الفصل الرابع

في الردّ على هؤلاء جميعهم (٥

انَّ البعض اعتقدوا انَّ الانسان يشبهُ اباهُ بجسميَّتهِ وافعالهِ فلذلك (٦ تكون نفسهُ جسماً . (قلنا) هذا باطل لانهُ قد تعيَّن عند العلماء انَّ المشابهة هي من باب الكيف والكيف عَرَضٌ (٧ والنفس ليست بعرضٍ (٧ فالنفس ليست بجسم ولا عَرَض (٧ كما سنبيّنهُ فيما بعد — (وامَّا) الاعتقاد انَّ النفس جسم إمَّا مركَّب او بسيطٌ فهو باطل لانَّ الجسم محسوس والنفس غير محسوسة — والجسم ايضاً مركَّب من الهيولي والصورة والنفس بسيطة على ما يظهر بيانهُ فيما بعد

الفصل الخامس

في بيان انَّ النفس هي جوهر

انَّ جميع العلماء حكموا بانَّ الجوهر هو القابل للأضداد . مثالهُ انَّ الجسم الواحد يقبل تارةً الحرارة وتارةً البرودة فهو جوهر يقبل الاضداد المحسوسة . وقد نرى النفس تقبل العلم والجهل والفضائل والرذائل والخطأ والصواب . وهذه وامثالها أعراضٌ اذ لا وجود لها الّا بموضوعها والنفس هي الموضوع لها . فالنفسُ إذن جوهر

انسان او كلب او ذئب او ثور او حيَّة او تنّين لا ادري لكثرة ما يتقوَّل عليَّ هؤلاء المشعوذون فلم يدعوا صنفاً من العجماء الّا وكنّوني بهِ فانا من سباع الصحراء او دواجن الحيوان او اسماك البحر او جوارح الطير ادبُّ واسبح واطير واسرح في وقت واحد . وانمَّا الطامَّة الكبرى في قول اميردوكل الذي يزعم اني شكل من النبات . . . »

١) يريد الاخلاط الاربعة التي في الجسم وهي الدم والبلغم والمِرَّة اي السوداء والصفراء

٢) وفي احدى النسختين : من فرغ البدن

٣) ويروى : تزيّف

٤) ويروى : متجسّمة

٥) ويروى : بأسرهم

٦) ويروى : وفي ذلك

٧) ويروى : عَرَضي

الفصل السادس

في اقامة البرهان على انَّ النفس ليست بجسم

نقول انَّ الجسم لهُ طول وعرضٌ وعمقٌ ولا شيء في النفس كذلك. والجسم محسوس والنفس غير محسوسة. والجسم يقبل الاعراض المحسوسة فهو محسوس. والنفس تقبل الاعراض المعقولة كعلم المنطق والهندسة وعلم الطبيعة الالهيَّة وعلم الرياضيات. وهذه كلها معقولة ومحلُّها معقول وهي النفس. فظهر انَّ النفس ليست بجسم

الفصل السابع(١

في بيان انَّ النفس بسيطة

قد سبق انَّ النفس ليست مركَّبة وليست بجسم وكلُّ ما ليس كذلك فهو بسيط فاذًا النفس بسيطة

الفصل الثامن

في حدّ النفس

قال ارسطاطاليس(٢ : انَّ النفس هي كمالٌ اوَّل لجسم طبيعيّ ذي حياةٍ وفكر وعقل بالقوَّة. وتفسير ذلك انَّ النفس جوهر حيٌّ غيرُ جسمٍ عالمٌ نيّرٌ لطيفٌ متحرّك بذاتهِ خُلق من بارئهِ ليرتبط بالجسم ويكمل بهِ ويكمّلهُ

---

١) في احدى النسختين جاء الفصل السادس والسابع في بابٍ واحد

٢) قد حدّ ارسطاطاليس النفس في مقالتهِ عن النفس (الكتاب الثاني الفصل الاوَّل) بما نصُّهُ:

Ψυχή ἐστιν ἐντελέχεια ἡ πρώτη σώματος φυσικοῦ δυνάμει ζωὴν ἔχοντος

اي « انَّ النفس فعلٌ اوَّل لجسد طبيعيّ ذي حياةٍ بالقوَّة » فقولهُ « فعلٌ اوَّل » يريد ان النفس صورة الجسد الجوهرية. وقولهُ « لجسد طبيعيّ» يريد انَّ النفس هي التي تعطي الجسد صفاتهِ وخواصَّهُ. وقولهُ « لجسد ذي حياة بالقوَّة » يريد ان الجسد المرشَّح للحياة يقبل حياتهُ من النفس

وقد جاء لارسطاطاليس تحديد آخر اورده في الفصل الثاني من كتاب النفس المذكور وهو اوضح مما سبق وفيهِ يقول:

ἡ Ψυχὴ δὲ τοῦτο ᾧ ζῶμεν καὶ αἰσθανομεθα καὶ διανοούμεθα πρώτως

اي « انَّ النفس هي ما بهِ نحيا ونحسّ وندرك اوَّلًا ». وقد جمع ابن العبريّ في هذا الفصل بين التحديدين

الفصل التاسع

في طبع النفس وتعريفهِ

انَّ طبع النفس هو الحياةُ لانَّ النفس حيَّةٌ وحياتُها ليست بغيرها. وكلُّ حيٍّ ليست حياتهُ بغيرهِ فطبعهُ الحياة. والنفس حيَّةٌ لا تموت فطبعها الحياة

الفصل العاشر

في بيان اسم النفس وما دلَّ عليهِ واصل اشتقاقهِ

نقول انَّ هذا الامر قد اختلفت فيهِ الآراء ومذاهب العلماء واللُّغات. والذي صحَّ عند اهل العلم والمعرفة هو انَّ اسم النفس يراد بهِ الحياة. والدليل على ذلك انَّ النفس بسيطة وطبعها الحياة فوجب ان يكون اسمها مشتقًّا من طبعها فيدلّ ايضًا على الحياة (١

الفصل الحادي عشر

في بيان قوى النفس وحسْن قواها عند زوالها عن القانون اللائق بها

زعمت الفلاسفة انَّ للنفس ثلاث قوى: اوَّلًا القوَّة النطقية. وثانيًا القوَّة الغضبية. وثالثًا القوَّة الشهوانيَّة. وكلُّ واحدةٍ من هذه القوَى وُضِعَت ما بين طرفَين خسيسَين (٢ اعني طرف الزيادة وطرف النقصان. فانَّ النطقية اذا زادت عن قانونها اثَّرت الخبث وضرر الناس (٣ واذا نقصت عن قانونها اثَّرت البلادة والبلاهة وقانونها اللائق يؤثّر الفلسفة الحسنة. وان رجحت الغضبيّة اثَّرت السلاطة والتهوُّر وان نقصت اثَّرت الذلَّة وان جرت على قانونها اثَّرت الشجاعة. وان رجحت القوَّة الشهوانية اثَّرت الشَّبَق وان نقصت اثَّرت الإعنان وان حصلت على قانونها اثَّرت العفَّة والفلسفة والشجاعة. والعفَّة اذا اجتمعت اثَّرت

---

١) إنَّ اسم النفس يختلف على حسب اختلاف اللغات فوضع كلُّ شعب للدلالة عليها اسماء تُشعر ببعض اوصاف النفس لاسيَّما الحياة

٢) ويروى: حسِيَّين

٣) ليس في القوَّة النطقيَّة افراط وانَّما مراد المؤلف سوء استعمال هذه القوَّة. وكذا قل عن بقيَّة الصفات التي عدَّدها هنا ابن العبري

العدالة واذا رجحت العدالة أثّرت الظلم وان نقصت أثّرت الزَيغ عن الحقّ. وفعل العدالة هو ان يوصل كلّ شيء الى مستحقهِ

الفصل الثاني عشر

في بيان قوى النفس على رأي اهل الشريعة المقدسة

للنفس قوَّتان احداهما نطقيَّة والاخرى حيوانيَّة. ولذلك يقال انَّ النفس حيَّة ناطقة. فقوَّتها الناطقة تنقسم الى العقل والرأي والذهن والفكر والذِكر. وقوَّتها الحيوانية تنقسم الى ما هو فيها طبيعيّ وما هو عرضيّ. فالطبيعيّ ان تكون جوهرًا حيًّا بسيطًا والعرضي وهو ما يعرض لها من قِبَل اتحادها بالبدن يُقسم الى القوى الغاذية والنامية والغضبية والشهوانية والحسّ والخيال

الفصل الثالث عشر

في بيان قوى النفس النطقيَّة والفرق بينها

اعلم انَّ (العقل) يدرك المعاني على التحقيق بلا واسطة ولا تعليم وذلك ظاهر في النفس وخاصَّة في انفس الابرار والقديسين. (والرأي) يدرك بواسطة التعليم والتفهيم. وفعل (الذهن) ادراك المعاني. وفعل (الفكر) هو التصرُّف في المعاني واستنباط حقّها من باطلها. وفعل (الذكر) هو الحفظ لما حصل فيهِ من آثار البواقي

الفصل الرابع عشر

في بيان القوى الطبيعيَّة والعرَضيَّة

القوى الطبيعية هي العقل والرأي والذهن والفكر والذِكر والقوَّة الحيَّة البسيطة. امَّا القوى العرَضيَّة التي للنفس فهي الغاذية والمربّية والغَضَبيَّة والشَّهوانيَّة والحس والخيال. فان هذه ليست من كيان النفس وانَّما هي من مزاج البدن. ولاجل اتحاد النفس بهِ قبلتْها بالعرَض. وذلك انَّ البدن مفتقرٌ الى الغذاء والتربية والحس بالحواسّ فتسوسهُ النفس وتدبّرهُ بحواسّهِ. ومن الحواسّ الظاهرة يعرِضُ الخيال. ومن قِبَل النفع والضرَر الداخلَين عليهِ تعرضُ القوَّة الغضبيَّة والشهوانيَّة. ولهذا السبب سُمّيَت هذه القوى عارضةً للنفس لأنَّها تعرضُ لها بواسطة جسمها

الفصل الخامس عشر

في بيان القوى المختصّة بالنفس وحدها والقوى المختصّة بالجسد وحدهُ والمختصة بالانسان المجتمع من النفس والبدن معاً

انّ القوى المختصّة بالنفس وحدها هي العقل والذهن والذكر والفكر والرأي والقوّة الحيّة البسيطة. والقوى المختصّة بالبدن وحدهُ القوّة الغاذية والمربّية (١. واماّ المختصّة بالانسان المركّب من النفس والجسد فهي الغضبية والشهوانية والحسّ والخيال

الفصل السادس عشر

في بيان انّ النفس هي ناطقة

انّ حدّ الناطق عند العلماء هو الذي يميّز الامور الصادقة من الكاذبة ويَفهم من غيرهِ ويُفهِم غيرَهُ. والنفس بذاتها فاعلة لذلك فهي اذًا ناطقة — وكذلك نرى النفس تحرّك الجسم حركةً نُطقيّة اعني انها تمكّنهُ مرةً من شهواتهِ وتردعهُ عنها أخرى. وتزجرهُ حينًا وتصوّمهُ حينًا آخر وتستعبدهُ وتُتعبهُ في العلم والقراءة والدرس وما أشبه ذلك. وهذه كلها امور تدلّ على الناطق

الفصل السابع عشر

في بيان انّ النفس ذاتيّة الحركة

قد بيّنّا ان الانسان مركّب من النفس والجسد بدون ثالثٍ. والبدن لا يتحرّك بذاتهِ من دون النفس والّا لَزِمَ انّهُ يتحرّك بعد موتهِ وهذا باطلٌ مُنكَر. فحركتهُ اذًا بنفسه. واذا كان الامر كذلك وجب القول انّ حركة النفس ذاتية لها وصدق قولنا بانّها ذاتيّة الحركة

فاذا قيل انّ الحَيَوان الغير الناطق يتحرّك ايضًا بذاتهِ فيلزم ان يكون لهُ نفس ناطقة وهو باطل. (قلنا) انّ حركة الحيوان غير ناطقة ولا فكريّة وهذه (اي النفس) دائمة الفكر والحركة في حالتي اليقظة والنوم

---

١) يريد بذلك انّ الغذاء والنموّ لا تظهر مفاعيلها الّا في الجسم ولو كانت النفس هي مصدر هذه القوى لانّ النفس كما لا يُخفى واحدةٌ في جوهرها كثيرة في قواها

وقد تبيّن ايضاً انّ كيان النفس هو الحياة. والحي هو الفاعل المدرك ومتى سكنت الحركة الخارجية بقيت حركتها الداخلية النطقية المذكورة في ذاتها. وهي التي اشار اليها ارسطاطاليس الحكيم بقولهِ انّ للانسان نطقَيْن احدهما مُتَلِّدٌ من عقلهِ دائم الحركة والثاني الذي تخدمهُ الآلة الجسمانية مثل الحنجرة وقصبة الرئة وسماء الحَلْق وآلة النفَس واشياء كثيرة حتّى يتمّ بها خدمة الصوت. وهذا هو للّفظ فقط اماّ ذلك (اي النطق الداخلي) فهو دائم ذاتيّ لا فتور له

الفصل الثامن عشر

في بيان اقسام الحركة وايّ حركة تصدق على النفس وهي غير جسم

اعلم انّ اقسام الحركة اربعة يقع منها اثنان في مقولة (الكم) وذلك مثل الحركة الواقعة في الجسم النامي من جهة الزيادة فيعظم مقدارهُ مع التدرُّج وكذا من جهة النقصان يصغر مقدارهُ بالتدرّج. فالاوّل مثل بدن الطفل والثاني مثل بدن الشيخ والذي فيهِ مرض الدقّ. وان كانت الزيادة بدون الغذاء والتربية فهو التخلُّل مثل الماء. وان كانت الحرارة الى النقصان فهو التكاثف. والزيادة بالغذاء هي النموّ. والنقص بالمرض واليبس مثل الجسم النابت هو الذبول. وتقال الحركة ايضاً في مقولة (الكيف) وهي الاستحالة والغيار مثل الجسم الابيض يسودّ وبالعكس. وتقال الحركة في (المكان) وهي سبعة انواع: فوق واسفل وقدّام ووراء ويمين وشمال والحركة الدوريّة هي الوضعيّة مثل حركة صوت الريح وحركة الفلك

وحركة النفس ليست الّا التي تقع في الكيف وهي الغيار فانّها تستحيل من الجهل الى العلم ومن الرذائل الى الفضائل. واماّ باقي الحركات فلا تصدق الّا على الاجسام والنفس هي غير جسم كما مرّ

الفصل التاسع عشر

في بيان انّ النفس مفكّرة

انّ ذلك معلوم من استنباط الصنائع والمعارف والابنية والصور والأشكال فان النفس تصوّرها قبل كونها في ذاتها — ثمّ انّ للنفس تأثيرًا وذلك انّها تنظر وتختار

وتظنّ انّها فاعلة . فذلك كلهُ يبيّن انّ النفس مفكّرة وتستخرج ما تشاء فعلَهُ امّا بالطبع وامّا بالصناعة وتعرف انّها تفهم وتعقل المعقول والمحسوس

الفصل العشرون

في بيان انَّ النفس غير ميتة ولا يطرق الفناء الى جوهرها

وسبب ذلك انّ النفس بسيطة والبسيط لا ينحلّ الى غيرهِ . لأنَّ الذي ينحلّ فيَبطل ذاتُهُ يلزم ان يكون فيهِ شيء يقبل ذلك الانحلال . وليس في ذات النفس امران مختلفان يطلب احدهُما غيرَ ما يطلبهُ صاحبهُ . بل من شأن النفس ألّا تفنى وانّما هي باقيةٌ ببقاء علّتها

ولا ينتج ممّا قيل في النفس انّها لا تموت وانّها ليست بجسم وما شاكلهُ كونُ ذلك نقصًا في حقّها لانّ هذه الصفات سلبيّة باللفظ فقط وهي في الحقيقة تدلُّ على صفات مُثبَتة . فانّ قولنا مثلًا انّ النفس لا تموت هو اثبات الحياة فيها . وقولنا انّها غير جسم هو اثبات قوامها دون الجسم الذي هو خسيس بالنسبة الى شرف النفس

الفصل الحادي والعشرون

في بيان انّهُ اذا ورد التقطيع والتوزيع على الجسد لم ينل النفس شيءٌ من ذلك

وبرهان ذلك مبنيٌّ على ما تقدّم فانّنا بيّنّا انّ النفس غير جسم وغير الجسم لا يُقطَّع بتقطيع الجسم فالنفس لا ينالها حينئذٍ ما ينالُ الجسمَ من التقطيع . واذا قيل اننا نرى عُضو الانسان اذا قُطّع يوجد فيهِ الحركةُ والاختلاج وقتًا ما . (قلنا) انّ سبب ذلك لامتداد الروح الحيوانيّ في شريانات الاعضاء باسرها . فاذا قُطع العضو يبقى فيهِ اثر الحركة الى ان يفنى منهُ وليس ذلك من النفس الناطقة كما يظنّ البعض

الفصل الثاني والعشرون

في بيان انّ النفس والعقل واحدٌ (١

يجب ان تعلم انّ للنفس في بدنها اربع مراتب . (المرتبة الاولى) ويقال لها العقل

---

١) يريد بذلك انّ العقل غريزي في النفس وقوّة من قواها الجوهريّة

الهيولانيّ وهو عند كون النفس خالية من جميع العلوم والمعارف مثل نفس الطفل (١. (والمرتبة الثانية) يُقال لها العقل بالمَلَكة وهو عند حصول المحسوسات التي كانت النفس مستعدّة لقبولها (٢ وكذا حصول شيء من المعقولات الأوّلية مثل انّ الكلّ اعظمُ من الجزء والجسم الواحد لا يكون طبعاً في مكانين في آنٍ واحدٍ. وكذا الامور الموجودة التي يجدها الانسان في نفسهِ مثل القدرة والشهوة والنفور والارادة وغير ذلك. (المرتبة الثالثة) هي ان تحصل لهُ العلوم العقلية وهو لا يقدر على استحضارها وهذا يقال لهُ العقل بالفعل (٣. (والمرتبة الرابعة) هي حصول سائر المعلومات في ذهنهِ وهي حاضرة دائماً وهذا هو العقل المستفاد وهو اعظم الدرجات الممكنة للانسان (٤

الفصل الثالث والعشرون

في بيان كيفيّة خِلقة النفس

انّ النفس من الجواهر التي خفيت عنّا صورُها فتظهر لنا آثارها. وان كان الامر بهذه الصفة فلا نعلم كيف تكون خِلقة النفس وانّما نعلم بصحّة وجودها من الافعال الصادرة عنها. هذا ولا يؤدّي كونُنا لا نعلم كيفية خِلقة النفس الى جهلنا بصورتها

الفصل الرابع والعشرون

في بيان اتحاد النفس بالجسد

زعم قومٌ انّ الاتحاد مُحالٌ وعلّلوهُ بالامتزاج والاختلاط والفساد وهذا رأيٌ باطل لأنهُ ليس كلّ شيءٍ يتّحد بشيءٍ آخر يلزم فيهِ هذه الاحوال. وذلك انّ النار تتّحد

١) قال الجُرجاني في كتاب التعريفات: العقل الهيولانيّ هو استعداد مَحضٌ لادراك المعقولات... وانّما نُسب الى الهَيُولى لانّ النفس في هذه المرتبة تُشبه الهيولى الخالية في حدّ ذاتها عن الصور كلّها

٢) حدّد الجرجانيّ العقل بالملكة قال: «هو العلم بالضروريات واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريّات»

٣) حدّدهُ في التعريفات: «العقل بالفعل هو ان يصيّر النظريات مخزونة عند القوّة العاقلة بتكرار الاكتساب بحيث يحصل لها ملكة الاستحضار متى شاءت من غير تجشم كسب جديد لكنها لا يشاهدها بالفعل»

٤) العقل المستفاد كما عرّفهُ الجرجانيّ هو ان يحضر النظريّات التي ادركها بحيث لا تغيب عنهُ

بالذهب وشعاع الشمس يتّحد بالفضاء. فاذا كان الامر كذلك فكم بالحري انّ النفس وهي غير جسمٍ تتّحد بالجسم ولا يحصل لها الفساد والتّبلبل لانهُ من المستحيل ان يتحوَّل الجوهر البسيط الغير الجسم الى صورة جسم. واذا لم يكن هذا التحوُّل فصحَّ الاتحاد دون تغيير وفساد كما يتّحد النطق بالصوت والنار بالذهب وما اشبه ذلك

الفصل الخامس والعشرون

في بيان الاسباب التي لاجلها يحصل اتحاد النفس بالجسد

يحصل ذلك لأسباب شتّى نذكر في هذا المُختصَر شيئاً منها: (الوجه الأوَّل) هو انّهُ لا يكمل فعل النفس الّا بالآلة البدنية. فانّها اذا بذلت جوهرها في تحصيل الفضائل ودَفع الرذائل تبلغ الغاية القُصوَى والرتبة العالية. وهذه الامور لا يمكن الوصول اليها الّا بالبدن (١. (الوجه الثاني) انّ الجسم يكمل بهذا الاتحاد وذلك انّهُ لا فرق بين جسم الانسان وجسم الثور والفرس الّا باضافتهِ الى هذه النفس. واذا فعلت النفسُ بهِ جميع ما هو مطلوب منها ارتفع عنها هوان البدن بعد القيامة الى عالم الملائكة وتخلُد فيهِ دائماً. وهكذا تأخذ النفسُ جسماً مساويًا للبهائم فتجعلهُ مستحقًّا لعالم الروحانيين. وبهذه الحالة يُعرَف جلال الباريْ تعالى الذي ركَّب من العالم المعقول والعالم المحسوس عالمًا آخر مجتمعًا من العالمين وهو الانسان تبارك اسم الخالق العليّ العظيم

الفصل السادس والعشرون

في بيان الاسباب التي من اجلها وجب افتراق النفس من الجسد

نقول انّ السبب الاوَّل لذلك تجاوُز ابينا آدم عن الامر الالهيّ فاستوجب بعصيانهِ قَبول الحدّ عليهِ. والسبب الثاني هو ان يحصل الجسم على معاد أكمل واجمل من صورتهِ

١) كما انَّ الجسد يكتسب كمالًا عظيماً باتحادهِ مع النفس كذلك النفس تكمل باتحادها مع الجسد لانّها لا تبلغ الى معرفة الكائنات الّا بواسطة حواسّ الجسد فتجرّدها النفس بواسطة العقل بالفعل عن خواصّها الهيوليّة فتعقلها وتدرك معانيها. امّا تحصيل الفضائل الذي ذكرهُ المؤلف فانَّ النفس تمارس بعضها في البدن كالعفّة والقناعة والاماتة وبعضها دون البدن كالايمان ومحبَّة الله وربما استعملت النفس بدنها لابراز عواطفها الباطنة كاقرار المؤمن باللسان والتخشّع لله. هذا واعلم انَّ النفس في ممارسة اكثر الفضائل لا تجد في جسدها إلّا إعاقةً ومانعاً فاذا انتصرت على هذه الموانع زاد كمالها

الاولى لانَّ هذه الصورة تتشعَّث وتنهدم ولا تصلح للثبات والدوام الذي لا نهاية لهُ (١

الفصل السابع والعشرون

في بيان الاعضاء التي بها تتَّحد النفس

لا شكَّ انَّ فعل النفس في جميع الاعضاء هو واحدٌ (٢ ولكن لا بُدَّ من ان تختصَّ ببعض الاعضاء فتكون في عضو من اعضاء الجسد اكثر من غيرهِ (٣ وهذا القول فيهِ رأيان احدهما يقول انَّ وجود النفس في الدماغ لانَّهُ معدن الحواسّ العشر. والرأي الآخر انَّ وجود النفس الخاصّ في القلب الذي هو معدن الحياة والحركة. والرأي الثاني هو الارجح والاصحّ (٤

هذا (٥ وللنفس خواصّ في الجسد الانسانيّ المركَّب وهي انَّها تبقى روحانيّةً عديمة الموت والتبلبل. وامَّا خواصّ الجسد فأن يكون جسمانيًا قابلًا للموت والامراض والتقطيع

الفصل الثامن والعشرون

في بيان خواصّ النفس التي بها تنفصل عن سائر الموجودات مع كونها في الجسد

خاصَّتها الاولى من هذا القبيل انَّها مفكِّرةٌ تتصرَّف فيما تفعلهُ. الثانية انَّها مع كونها مرتبطة بالجسد تتخيَّل وتتمثَّل الامور البعيدة عنها مثل القريبة. الثالثة انَّها عند نوم الجسد تفتكر فيما تفعلهُ في اليقظة (٦. الرابعة انَّها تحزن بحزن الجسد وهي غير مغتمَّة بطبعها. الخامسة انَّها تبغض الإثم وتحبُّ البرارة ولو غُلِبت في اكثر اوقاتها. السادسة انَّها تجد العلوم والصناعات المختلفة

---

١) يريد انَّ الله تعالى في يوم البَعْث يكسو اجسامنا بخواصّ وصفات تجعلها شبيهة بالارواح كالبقاء والنور وسرعة الحركة ونفوذ الاجرام الصلبة. ولو ثبت آدم على طاعة الله لحصل عليها ايضًا دون ان ينحلّ جسمهُ بالموت

٢) يريد من حيث وجود النفس واتحادها مع الجسم لا من حيث مفعولها

٣) اي من حيث مفاعيلها الحيوية في بعض الاعضاء الرئيسية فاذا أُصيبت هذه الاعضاء بأذًى كبير فسدت الحياة وحلَّ الموت

٤) لا ينكر المؤلف بقولهِ هذا انَّ الدماغ كالة تستخدمها النفس لابراز افعالها النطقيَّة

٥) في احدى النسختين قد أُفرد فصلٌ خاصّ لبقيَّة الباب

٦) انَّ ذلك في اغلب الاحيان ينتج عن القوَّة المخيّلة وليس هو فعلًا نطقيًا محضًا

الفصل التاسع والعشرون

في بيان اصل النفس وتولّدها في الجسد

قد (قال قوم) انّها وُجدت من كيان الله تعالى وجوهرهِ . وهو قول باطل لانهُ عزّ وجلّ بسيط لا يقبل القسمة ولا يتصوَّر العقل ان يكون الانسان مركَّباً من الخالق والبدن وهو بهذه الخسائس . (وقال آخرون) انّ النفوس تتولّد بعضها من بعض . وهذا كاذبٌ لانّ المتولّد من غيرهِ لا يصدق الّا على الاجسام وذلك بشروط لا تليق ببساطة النفس . ولو صحّ ذلك لكان في الملائكة اوضح وهو باطلٌ . (وقال آخرون) انّها تتولّد من الزرع البشريّ وهو محال لانّ ذلك جسمٌ والنفس ليست بجسم . ولمّا بطلت هذه الآراء وما يشاكلها ظهر الحقّ وهو انّ الله تعالى يخلق النفس لا من شيء يسبقها وذلك مثلما اوجد العقول المجرَّدة (١

الفصل الثلاثون

في بيان ايّ مكان خُلقت فيهِ النفس أَفي داخل البدن ام خارجاً عنهُ

هذا القول فيهِ رأيان : الاوّل انّ النفس خُلقت في البدن وقد نكر ذلك حكماء اليونانيين وذكروا انّها خُلقت خارج البدن (٢ وأتت اليهِ . والرأي الثاني أَرجح لانّ البسيط يليق بالبسيط والنفس بسيطة لائقة بعالم البسيط العاري عن مُلابَسة الاجسام . فاذاً وجود النفس اي خلقتها خارجاً عن الجسم هو اصدق (٣

الفصل الحادي والثلاثون

في بيان اي وقت تُخلق بهِ النفس أَبعد خلقة الجسد او قبلهُ او معهُ

قال قومٌ من الاقدمين انّ النفس خلقةٌ قديمة قبل البدن . وهذا مُحال . لأنّهُ لا يخلو القول عن احد امرين امّا ان تكون النفس واحدة وتحلُّ في سائر الابدان وامّا ان تكون انقسمت قبل الحلول في البدن . والاوّل مُحال لأنّهُ يلزم منهُ انّ ما يعملهُ الواحد يعملهُ

---

١) اي الملائكة ٢) وهو راي افلاطون

٣) نقول ان في هذا القول شططاً . والصواب انّ الله خلق النفس في البدن لا خارجاً عنهُ .

الكلّ وهو باطل . والثاني لا صحَّة لهُ ايضاً لانَّ النفس بسيطة وما كان بسيطاً لا تطرأ عليهِ القسمة . وكان يجب مع ذلك ان تكون الخِلْقة بين النفوس بالفصول والعوارض . وكلا القولين باطل لانَّهُ يلزم من الاوَّل انّ النفس تكون مركَّبة من الجنس والفصل مثل بعض الحيوانات . والثاني مُحال لانَّ النفس قبل الاتحاد بالبدن لا تدخل عليها العوارض فبطل من ثمَّ القول بقِدَم النفوس (١

وقال قوم انَّ النفس خُلقت بعد البدن باربعين يوماً وهو زعمٌ باطل لانَّ البدن دون نفسٍ تربيهِ يمتنع في حقّهِ التصوُّر والتكوين والانتقال من صورة الى صورة اخرى . فيتعيَّن اذن القول الاخير اعني وجود النفس والجسد معاً . اعني انَّ النفس توجد لما يصلح الجسد للصورة الانسانية باعتدال قوامهِ واستحكام مزاجهِ فيكون مستحقّاً لأن تُضاف النفس اليهِ بالاتحاد

الفصل الثاني والثلاثون

في بيان اين هي النفس هل داخل البدن او خارجاً عنهُ او في المكانين معاً

اعلم انَّ لفظة « اين » تقال على احد عشر نوعاً والنفس مسلوبة عن الجميع لانَّ هذه اللفظة لا تليق بجوهرها البسيط . امَّا الانواع المذكورة فهي مثل الاجزاء في الكلّ والكلّ في الاجزاء والجنس في الانواع وعكسهِ وكمثل الزمان والمكان والإناء والصورة في الهيولَى والتدبير والتكميل والعرض في الجوهر . امَّا الاوَّل فمثل الاعضاء في البدن . والثاني فمثل البدن في اعضائهِ . والثالث مثل الحيوانية في الانسان والفرس . والرابع مثل الانسانية

ولو صدق قول المؤلف لوُجدت النفس حيناً ما بلا جسدها وهو قول باطل . والبرهان الذي استند اليهِ المؤلف لتأييد زعمهِ ضعيف واهن ينتج عنهُ انَّ النفس من حيث انَّها لائقة بعالم البسيط لم تُخلق لمساكنة الجسد وملابستهِ وهي نتيجة فاسدة كما يظهر ايضاً من الفصل التالي

١) ويمكن قول ثالث لم يذكرهُ هنا ابن العبري وهو ان تُخلق النفوس متعددة كالملائكة . وهو قول ايضاً لا صحَّة لهُ لانَّهُ لو خُلقت قبل البدن لبقيت فارغةً عن العمل وهو باطل لانَّ الله لم يخلق نفوس البشر لتعيش مجردة عن الجسم كارواح الملائكة بل لترتبط مع الأبدان وتأخذ موادّ فهمها وعملها من الحواسّ . امَّا وجود النفوس بعد الموت منفردةً عن الجسد مدَّةً ما فان ذلك امر قد قضى الله بهِ على البشر عقاباً على خطيئة الابوين الاوَّلين الى ان يبعث الله الاجساد في اليوم الاخير

والفرَسية في الحيوانية. والخامس مثل زمان الطوفان. والسادس مثل الجسم في مكانه. والسابع مثل النبات في وعائه. والثامن مثل صورة النار في هَيُولاها. والتاسع مثل مدبّر المدينة. والعاشر مثل مكمّل السفينة. والحادي عشر مثل اللون في الجسم. والنفس عريَّةٌ عن جميع هذه الأَمثال ولا يقال في حقها انَّها في الشيء الفلاني لأَنَّ هذه اللفظة لا تليق الَّا بالاجسام. والنفس هي بعيدة عن الامور اللائقة بالاجسام والاعراض وما يشاكلها دائماً. لأَنَّ علاقة النفس بالبدن علاقة إضافية شوقية ولا نقال اين هي النفس من البدن او من اعضائه (١

الفصل الثالث والثلاثون

في البحث عن زرع الرجل أَهو حيّ او ميت أَمتنفِّس هو او غير متنفّس

اقول انّ الزرع الذي يصلح للصورة البشريَّة هو حيٌّ متنفِّس بالقوَّة. وذلك مثل وجود الاضراس بالطفل واللحية بالحدَث. امَّا الزرع الذي يبرز في الحلم او المرض او في غيره فذاك مثل البُصاق والعرَق والدموع وغيرها

الفصل الرابع والثلاثون

في انَّ النفس لا تستحيل بالطبع

واعلم انَّ النفس لا تستحيل بالطبع ولا يطرأ عليها تبلبل واذا اصابها الغيار انّما يصيب صفاتِها دون جوهرها وذاتها. ويبلغ هذا الغيار الغاية القصوى فينتهي امَّا الى الرذائل وامَّا الى الفضائل. ويمكنهُ الاستحالة من احد الطرفين الى الآخر. ولولا ذلك لكان امتنع عليها تحصيل العلم والعمل اللذين هما المطلوبان منها ولاجلها خُلِقت وارتبطت بالبدن بقدرة العزيز الحكيم تبارك اسمهُ

١) خلاصة هذا الفصل انَّ النفس ليست في البدن كما تكون الاجساد في بعضها او كما تتعلّق الاعراض بالجواهر وانمَّا هي بالجسد على صفة الأَرواح فهي كلُّها في البدن وكلُّها في كلّ اعضاء البدن. وهي مع ذلك متَّحدة مع الجسد اتّحادًا جوهريًا لانَّها صورة الجسد تعطيهِ الكيان والحياة والحسّ والنمو

الفصل الخامس والثلاثون

في بيان انّ النفس هي التي تدبّر الجسد وتسوسهُ

لا يُخفى انّ الجسم آلة للنفس وهي الفاعلة بهِ ويلزم الفاعلَ بالآلة ان يدبّرها ويسوسها فالنفس اذن تدبّر البدن وتسوسهُ. والدليل على ذلك انّ النفس تمنع البدن وتردعهُ مرارًا عديدة عن شهواتهِ في سبيل فوائدها وتأبى العمل بما يرضيهِ وتلزم القانون الذي يضادُّ طبيعة الجسد فيظهر بهذا انّها هي السائسة. واما اذا غُلِبت النفس بالدواعي البدنية والشهوات الدنيويّة من المآكل والمشارب اللذيذة والملابس البهيّة وهَوِيت ذلك فيكون الامر بعكس المطلوب اذ يصير البدن حاكمًا عليها وقاهرًا لها وتلك شرُّ الاحوال العياذ بالله من عواقبها

واعلم انّ الآلة تُقال على ضربين ضرب صناعي وضرب طبيعيّ. فالصناعيّ مثل آلة النجّار فانّها مُباينةٌ لذاتها وهذه تسمّى اداةً. وامّا الطبيعيّ فمثل البدن والنفس اللذين يتركّب منهما الانسان الواحد ويتمُّ حدُّهُ بهما معًا. فهذا هو المراد بانّ البدن هو آلة النفس وامّا تدبيرها لهُ فبالحواسّ العشر: خمس ظاهرة وهي البصر والسمع والشمّ والذوق واللمس. وخمسة باطنة وهي الحسّ المشترك والخيال والوهم والفكر والذكر. امّا شرح مفاعيل هذه القوى وبيان حدودها وفوائدها فيُطلب من المباحث الطبيعيّة

الفصل السادس والثلاثون

في بيان انهُ ليس يمكن ان يكون انسانٌ غيرَ ناطقٍ

وذلك انّ النطق عبارة عن ان يَفهم الانسانُ المعاني ويُفهمها غيرَهُ ولا نجد انسانًا خاليًا من هذه الحالة. والتعبير يكون امّا باللفظ او بالكتابة او بالاشارة كالاخرس. وأمّا الطير الذي يتكلّم بالفاظٍ فصيحة فيكون قد تعلّمها مرارًا عديدة ومع ذلك فلا يعلم بما ينطق بهِ ولا لهُ قدرة على تعليم غيرهِ شيئًا يعرفهُ

الفصل السابع والثلاثون

في بيان كيفية افعال النفس في البدن

اعلم انّ النفس واحدة بسيطة فيجب من ثمَّ ان يكون فعلها واحدًا. لكنّ دواعي

بدنها كثيرة فلذلك تختلف افعال النفس فيهِ من قِبَلِهِ لا من قبلهـا . واذا صحّ ذلك فنقول ان اوَّل فعل النفس في البدن هو التغذية والتربية والنموّ ثمَّ تُفيدهُ الحسّ والحركة ليدرك الانسان بحواسّهِ الظاهرة ثم تستدرج الى الحواس الباطنـة فيتمكّن الانسان ممَّا يقصدهُ من استنباط المعاني . وتحت هذا سرّ عظيم تبارك اسمُ مُبدعهِ (١

الفصل الثامن والثلاثون

في بيان اختلاف مزاج الاشخاص البشريَّة مع وحدة نوع انفسها

اعلم انّ السبب الاوّل لهذا الاختلاف غلبة الأَخلاط بعضها على بعض فتُوجب في الاشخاص اموراً متناقضة . وربَّما حصل ذلك لسبب آخر وهو الاعتياد . فترى الذي يقهر نفسهُ يحصل على عادة اللطف والتواضع ويتسارع الى الفضائل والإِحسان . وزد على ذلك انّ المزاج يقبل الزيادة والنقصان ولولا ذلك لما افاد التهذيب والعلم والتأديب وكان وجود كلٍّ هذه عبثاً وهو محال

الفصل التاسع والثلاثون

في بيان السبب الذي لاجلهِ تمتنع النفس عن الافعال اللائقة بها في ابدان الاطفال

انّ سبب ذلك ظاهرٌ وهو ضعف الآلة المختصَّة بفعلها على ما بيّنّاهُ آنفاً لان عمل النفس يكمل باستعمالها الحواسّ العشرة . وهذه الحواس في الطفل قاصرة عمّا هو المقصود في تحصيلهِ وتكميلهِ

الفصل الاربعون

في الردّ على من زعم انّ النفس ليست ناطقة بالفعل في الطفل

زعم قومٌ انّ النفس ليست ناطقة بالفعل في الطفل وذلك مُحال . لان النفس ناطقة بالطبع وكلُّ ما يكون بالطبع لا بُدَّ ان يوجدَ بوجود ذلك الشيء مثل الحرارة للنـار والرطوبة للماء . فوجب ايضاً نطق النفس بوجودها . والمانع لها في الطفل من إكمال فعلها

١) مرجع هذا الفصل الى انّ النفس البشرية نباتيّةٌ وحيوانيّة وناطقة معاً فمن حيث انّهـا نباتية وحيوانيّة يستفيد منها البدن النموّ والحسّ والحركة ويتمكّن من كل الافعال التي نراها في النبات والحيوان كالتغذية والوهم والخيال . اماَّ من حيث انّها ناطقة ففعلها منزّهٌ عن الجسم

ضعف آلتها كما بيّنّا آنفًا. وذلك مثل الماهر في صناعة الكتابة فانّهُ يعجز عن اتمام غرضهِ دون كمال آلتهِ

الفصل الحادي والاربعون

في بيان حال الطفل الذي يُمكن تربيتهُ دون سائر البشر هل يعرف لغةَ الكلام ام لا

نقول انّ الذي هو بهذهِ الصفة يُشبهُ شخصًا جالسًا بين اقوامٍ لم يسمع لغتهم فيمتنع عليهِ معرفةُ تلك اللغة. وهكذا تكون حال الطفل المذكور فانهُ يبعث بلسانهِ بعثًا ولا يُعرب عن لغة مقصودة. وسبب ذلك انّ الالفاظ دالّة على المعاني المخزونة في النفس وتلك الالفاظ متّفَقٌ عليها في اللغات تفتقر الى معرفة كيفيّة الاصطلاح عليها. وذلك هو المقصود من اللغة اعني ان يُتحصَّل بها العبارةُ عمّا في النفس

الفصل الثاني والاربعون

في بيان انّ النفس متناهية بكيانها وفعلها

نقول انّ الجسم بالضرورة هو متناهٍ لانّهُ مُحاطٌ بغيرهِ ولهُ نهاية وحدود. واما النفس فانّ تناهيها من قِبَل انها حادِثة وكلُّ حادثٍ متناهٍ فالنفس اذن متناهية — ثمّ انّ نفس كلّ واحدٍ من البشر مقصورة على تدبير جسمها. والمقصور على الشيء دون غيرهِ متناهٍ فالنفس اذن متناهية

الفصل الثالث والاربعون

في تبايُن الانفس بعضها عن بعض

انّ المُباينة بين النفوس على وجهين احدهما بالذات اعني ان يختلف ذات كلّ نفسٍ عن ذات الاخرى كنفس سقراط مثلًا ونفس افلاطون. والوجه الثاني بالعدد مثل قولنا نفس واحدة وثانية وثالثة ورابعة. وهاتان المباينتان ظاهرتان. — ثمّ انّ النفوس بَعْدَ المَعاد تتباين بعضها عن بعض بامرين آخرين وهما المحلّ الروحانيّ (١ والمعاني التي حصلت للنفس من الفضائل والرذائل (٢ فيكون لها على ذلك مباينات اربع بعد المعاد

---

١) يريد بالمحلّ الروحاني دار النعيم او سُكنى الاشرار في الجحيم

٢) اي انّ النفوس تتباين ايضًا في العالم الآخر بالصفات الحسنة او المزايا السيّئة التي تكيّفت بها اذ كانت مرتبطة بالبدن على الارض

الفصل الرابع والاربعون

في بيان انّ نفس السقْط مثل النفس التي مكثت مع جسدها زمنًا طويلًا
وكيف تفارق النفس جسدها

اعلم انّ الكيان الجوهري المتعيّن للنفس لم يزد ولم ينقص لانّهُ ذاتٌ لا عرَض — وامّا عند فراق النفس من الجسد فلا يقال انّها برزت من العضو الفلاني او من الجهة الفلانية كما يظنّ البعض انّ النفس تبرز من الفم فانّ هذه واشباهها لا تليق بالنفس بل بالجسد. وامّا فراق النفس للجسد فكمثل افتراق حرارة النار من الذهب المُحمَى ومثل قوّة الدواء اذا بطلت منهُ ومثل نور الفضاء اذا زال عنهُ

الفصل الخامس والاربعون

في بيان انّ النفس اذا فارقت الجسم لم يصدق عليها الفساد والهلاك

لقد بيّنّا انّ النفس بسيطةٌ وانّها ذات واحدة وطبعُها الحياة وهي قائمة بذاتها غنيّة عن موضع توجد فيهِ. وكلُّ من كان بهذه الصفة فهو باقٍ فاذن النفس باقية بعد الفراق— ونقول ايضاً لو صدق على النفس الفناء لكان ذلك وهي في عذاب الجسد اجدر واحرى لانّ المُبتلَى بانواعِ الضيق اسرع الى الهلاك منهُ عند الفَكاك. ولمّا لم يصدق عليها الفناء وهي تقاسي مرارةَ دواعي البدن امتنع عليها ذلك بعد فراق الجسد. وذلك ما اردنا ان نبيّنهُ

الفصل السادس والاربعون

في بيان انّ النفس اذا فارقت الجسد لا تفقد صفاتها المختصّة بذاتها

واعلم انّ صفات النفس المختصّة بذاتها باقيةٌ ببقاء النفس دائمةٌ بدوامها بعد مفارقتها للجسد. وهذا ينتج عمّا بيّنّا آنفًا انّ العقل والرأي والذهن والفكر والذكر والحيّ والبسيط هي قوًى طبيعية للنفس والطبيعيّ دائم بدوام ما هو خاصّ بهِ فإذن تدوم ايضاً هذه القوى بدوام النفس. وذلك ما اردنا بيانهُ

الفصل السابع والاربعون

في بيان انّ تأثير النفس باقٍ بعد فراق الجسد

نريد بتأثير النفس فعلها وحركتها فنقول: انّ الفعل والحركة ذاتيّان للنفس راكزان في كيانها فلا يُمكن اذًا ان يفارقاها البتّة. ولكن بعد فراق الجسد سينقطع عن النفس سبيلُها

الى الفعل والتأثير والزيادة في الفضائل والنقص من الرذائل لانَّ الآلة التي كانت تفعل بهـا قد بطلت وتعطَّلت والصانع لا يتمكَّن من تتميم فعلهِ الّا بآلتهِ. وذلك على مثال الكاتب الماهر اذا عُدِمت آلتهُ تعطَّلت صناعتـهُ ولم تذهب معرفة الكتابة من نفسهِ. فكذلك النفس وصفاتها (١

الفصل الثامن والاربعون

في بيان انَّ النفس اذا فارقت جسدها يزيد فهمها وذكرها

والدليل على ذلك انَّ النفس لمَّا كانت ممنوَّةً بعلائق الجسد ودواعيهِ وصفاتهِ كان لها قدرة على الفهم والذكر فعند انسلاخها عنهُ يلزم ان تزداد هذه القدرة عمَّا كانت عليـهِ اوَّلًا. ولولا ذلك لكان الفعل مع العائق كمثل الفعل دونهُ وذلك مُحال. فظهر انَّ النفس عند عدم العائق تدرك وتفهم وتتذكَّر اكثر من ادراكها وفهمها عند وجود العائق

الفصل التاسع والاربعون

في بيان انَّ النفس تدرك بجوهرها بعد فراق الجسد

والدليـل على ذلك هو ان النفس بسيطة عريَّة عن الهيولى المانع لها عن الادراك. فاذا كان ذلك كذلك وجب ان يصدق في حقّها انَّهـا تدرك بجوهرها — ونقول ايضًا انَّ النفس لها الادراك بالطبع وكلُّ ما كان بالطبع لا يفتر عن فعـلهِ الّا بقاسرٍ يقتسرهُ وقاهر يقهرهُ وذلك ممَّا عرض للنفس بمراقبة الجسد وكثرة دواعيهِ واشغالهِ المانعة لها من سلوكها وفعلها بالطبع. فاذا زالت مراقبة هذا المانع عادت الى طبعها الاعلى لانَّ زوال الموانع يوجب استكمال الافعال ويوفّق الأَرَب والغرض

الفصل الخمسون

في انَّ النفس تعرف ذاتها وتعرف ايضًا انَّها مخلوقة

قد سبق ان صفات النفس باقية فيها بعد فراق الجسد ومن صفات النفس العلم فلا بُدّ اذن من القول انّ النفس تعرف انّ لها خالقًا وانَّها مخلوقة وانَّها اتَّحـدت بالجسد

١) الأَحرى ان يقال انَّ النفس لم تعد تكتسب اجرًا او تجترح اثمًا لانَّ وقت امتحانها قد انتهى يوم انفصالها عن الجسد

وانتقلت عنهُ كما انَّها تعرف اجزاء هذا الجسد المتبدّدة في العناصر وتعرف انَّها ستتّحد بهِ ثانية وتعرف الملائكة والجنّ عند خروجها من الجسد وتعرف النفوس الشبيهة بها والمكان الروحانيّ المعدّ لها وتعرف وتشعر بالقرابين والصدقات التي تقرَّب عنها. اما الامور التي لا تعرفها فهي احوال عالمنا وجميع ما يبعد عنها بالصفة

الفصل الحادي والخمسون

في الرد على من قال ان النفس اذا فارقت الجسد تحلُّ امَّا في الحيوانات او في النباتات

نقول انَّ ذلك مُحال لانَّهُ يوجب ان ليس في الكون حيوانٌ يصحُّ حدُّهُ (١ وانَّ الذي يأكل لحم الحيوان او يقطع الشجر ويحرق خشبَهُ يصيبُ بذلك الانسان الذي حلَّت نفسُهُ بهذا الحيوان او بهذا النبات ولَساغ ايضًا ان تُسمَّى نفس الانسانَ تارةً ناطقة وأُخرى صاهلة او نابحة او ناهقة وحينًا نابتةً ونامية وكل ذلك لا يرضى بهِ عاقل

الفصل الثاني والخمسون

في الردّ على من قال انَّ النفس هبطت من عالم الملائكة

زعم البعض انّ النفس خُلقت في عالم الملائكة وانَّها لسوء تدبيرها هبطت الى اجسام البشر ومنها الى الحيوان ومنها الى النبات ومنها الى الجماد. وكلُّ هـذه الاقوال هَذَيان محض لأنَّنا قد بيَّنَّا آنفًا انّ القول بوجود النفس قبل الاجسام هو باطلٌ — ثم نقول ان كان عالم الملائكة قد اوجب فساد احوال النفوس وفيهِ حصل لها هذه الخسائس حتى انها هبطت الى هذا العالم لتتأدَّب فيهِ بآداب الانسان والثور والشجر والجماد ثمّ تعود الى عالمها الاوَّل للزم ان يكون الشرّ في عالم الملائكة والخير في عالم البهـائم وهذا اقبح الكذب والمُحال. وذلك ما اردنا ان نبيّنهُ

الفصل الثالث والخمسون

في بيان مستقرّ النفوس بعد فراق الجسد الى حين القيامة الكلّيَّة

انّ نفوس الابرار تلج الفردوس الذي خُلق لابينا آدم. وما دونهم بالصلاح يكون بالقرب منهُ على الترتيب (٢. امَّا نفوس الاشرار فتكون في قعر الهاوية مع اختلاف الرتب

١) وذلك لانَّ التقمُّص يخلط الانواع ببعضها ويجعل الحيوان الناطق بحلولهِ في البهيمة غير ناطقٍ وبحلولهِ في النبات جسمًا بلا حسّ

٢) قد قلنا في ترجمة ابن العبريّ (ص ٤١) انَّ من جملة ضلالهِ قولهُ بان النفوس البارَّة

الفصل الرابع والخمسون

في بيان ما قيل في الكتاب الالهي انّ الانسان خُلق على صورة الله

اعلم انَّ الكتاب الالهي يشير بهذا القول الى النفس الناطقة دون الجسد. والدليل على ذلك من اوجهٍ شتَّى. (اولًا) لان النفس ليست جسمًا ولا يتسلَّط عليها الموت. (ثانيًا) لانَّ الباريءَ تعالى ينظر الوجود باسرهِ نظرًا فعليًا بالذات والنفس تنظرهُ نظرًا انفعاليًا بالخيال. (ثالثًا) لانّ النفس متسلّطة على المحسوسات كما انّ الله تعالى يتسلَّط على كل المخلوقات والمحسوسات العنصريَّة. (رابعًا) لانَّ النفس تتصرَّف من ذات طبعها بالفكر والتصوُّر. (خامسًا) لان الموجودات الجسمانية تخدم الانسان كما تخدم الخالقَ سائرُ الموجودات الروحانية. (سادسًا) لانَّ الانسان يتصوَّر في نفسهِ صورة شيءٍ لا وجود لهُ ثمَّ يبرزهُ الى الوجود ففيهِ بذلك بعض الشبه بالخالق الذي اوجد البرايا بعد عدمها. (سابعًا) لانَّ الله جعل الانسان مثل نائبهِ في الارض وهو يميّز الخير الجيّد من الشرّ الرديء. (ثامنًا) لانّ الله يفعل المعجزات والخوارق والمبهرات. وهكذا قد بلغ بعض الناس كالانبياء ان يفعلوا ذلك في الارض بعون الله. (تاسعًا) انّ الله يتصرَّف في الموجودات فهو فيها ولم يُدرَك. كذلك النفس تفعل الافاعيل وتتصرَّف التصرّفات في جسدها وهي لم تُدرَك. (عاشرًا) لانّ الله الكلمة كان مزمعًا ان يتجسَّد ويتَّخذ نفسًا بشريَّة فلذلك سمَّاها صورتَهُ. (اخيرًا) لانّ النفس البشريَّة ذات حياة ونُطق كما ان هذه الصفات هي ذاتيَّة في الباريءِ تعالى. ولذلك قيل انَّ الانسان يجب عليهِ ان يتشبَّه بالله تعالى بالجود والقداسة والعدل والرحمة والرأفة واللطف قيامًا بقول السيّد المسيح: كونوا رحماء وكاملين مثل ابيكم السماويّ الذي يُشرق شمسهُ على الاخيار والاشرار

الفصل الخامس والخمسون

في بيان المعاد البَدَني والكلام على رأي القدماء واختلافهم في حقيقتهِ

نقول انَّ البعض من النـاس اثبتوا معاد الابدان والبعض نكروهُ. والفريق الذي

لا تدخل السماء ولا تعاين جلال الله عزَّ وجلّ الّا بعد القيامة الاخيرة. يردّ هذا المزعم اعتقادُ كل الكنائس الشرقيَّة فانَّ في طقوسها وصلواتها شهاداتٍ عديدة تُثبت كون نفوس الابرار في السماء مع الله. وهذا المُعتقد مبنيّ على آيات وردت في الانجيل وفي رسائل الاناء المصطفى بولس الرسول وفي رؤيا يوحنّا الحبيب (راجع يو ١٢ : ١٧,٢٦ : ٢٤ و ٢ قرنتية ٥ : ٨ ورؤيا ٣ : ٧,٢١ : ٢٩, ١٤ : ١٣)

اثنتهُ يختلفون في صور الابدان واشكالها واعضائها الظاهرة والباطنة والمختصّة بالادراك والذكورة والإناثة والالوان والملابس والمآكل والشهوة والغضب والأعراض كاللطافة والكثافة واشباه ذلك . امَّا الفريق الذي نفى ذلك فعلّلوا جحودهم بثلاثة اسباب : السبب الأوّل احتجّ بهِ الذين اعتقدوا بآلهة كثيرة فقالوا انَّهم لا يتّفقون على اعادة الابدان . والسبب الثاني انَّ البدن لم يُخلق لاجل ذاتهِ بل هو آلة للنفس . والسبب الثالث انَّ اجزاء الجسد تتبدّد في العناصر فلا يمكن عودها الى الصورة الاولى

الفصل السادس والخمسون
في الردّ على المحتجّين بالحجج السابقة

نقول انّ بطلان زعم الذين قالوا بآلهة كثيرة لا يتّفقون على اعادة الابدان يظهر من سوء معتقدهم بالاله . فانّ الله واحد صَمَد لا اله غيرهُ . ولو كان الهان وجب ان يشتركا بالوجوب والخلق والقدرة والسلطان وان يختلفا بالعدد والالوهيَّة وان يكون كلاهما مركَّب وكل ذلك مُحال

امَّا الذين زعموا ان الجسد خُلق آلةً للنفس لا تحتاج اليهِ فقولهم فاسد ولو كان الجسد كما يقولون لَمَا دخل في حدّ الانسان واجتمع منهُ ومن النفس ماهية واحدة ونوع واحد تُعزى الافعال البشريَّة الى المتركّب منهما وقد سبق انّ كليهما يكتسب كمالًا باتحادهما

وكذلك لا صحّة لقول من زعم انَّهُ لا يمكن اعادة الجسد بعد تبدّد عناصرهِ الى صورتهِ الاولى . نعم اننا لو نسبنا الجسدَ الى ذاتهِ لما امكن عودهُ الى هذه الصورة ولكن اذا نُسِب الى خالقهِ فليس في هذا الامر مانع لانّ الذي انشأ الجسد من التراب في البدء هو قادر على ان يُعيدهُ ثانيًا . وان نكر الجاحدون هذه القضيَّة سألناهم من اي شيء خلق الله جميع الاصول أليس من العدم فلمَ لا يجوز لهُ تعالى ان يعيد الاجساد الى حالها مع وجود اجزائها والوجود افضل من العدم . فان قالوا انّ العدم افضل من الوجود فقولهم كذب بَحت . وان قالوا انّ الباريءَ تعالى لا يقدر على بعث الاجساد بعد ان خلقها من العدم فيكون قولهم اقبح من الكذب الاوّل . وهم يشهدون على كذبهم اذ يعترفون بان الله تعالى قادرٌ على خَلق الاشياء من لا شيء . فيظهر بذلك كذب حجّتهم — ثم نضيف الى ما سبق انَّهُ من العدل والانصاف وفعل الحقّ اعادة الاجساد بحيث انَّها تقبل المُجازاة والمكافأة قبالة ما فعلتهُ مع النفس من الفضائل والرذائل في هذا العالم . ولولا ذلك لتساوت

اجساد القديسين الاطهار باجساد الاشرار الفاجرين. وهو قول لا يرضى بهِ عاقل

الفصل السابع والخمسون

في بيان انَّ الجسد الذي انحلَّ وانهدم يعود هو بعينهِ وليس غيره

اعلم انَّ الانحلال والعود هما من باب الاضافة يلزم احدهما الآخر. هذا وانّ العقل يشهد بان الجسد الذي احتمل الشدائد والصعوبات في عمل الصلاح والعبادات هو احقّ بالعود لينال المجازاة قبالة عذابهِ وكذا الجسد الذي استمرَّ على شهواتهِ ولذّاتهِ الرديئة القبيحة التي تنكرها الشريعة المقدّسة — ونقول ايضاً انّ هذه الاجساد تعود الى صورتها الاولى وليست هي هوائية كما زعم قومٌ ولا كثيفة بحيث يمتنع عليها النفوذ في غيرها بل هي اكثف من الأولى وألطف من الثانية لأنَّ ذلك العالم القدسي لطيف فيلزم لطافةُ ما يصعد اليهِ وامتناع هيولاهُ الغليظة ليصلح لمؤاخاة العالم اللطيف ومباشرة الاماكن الشريفة. ولذلك نقول ايضاً انهُ يتجرَّد من كل الاعراض التي تشينهُ كالامراض والعيوب والشهوات وما شاكلها لان كل ذلك لا يليق بالعالم السماوي

الفصل الثامن والخمسون

في بيان انَّ رجوع الجسد يكون باعضائهِ

اعني ان الجسد يكون تامَّ القامة برأسهِ وعينيهِ وأُذنيهِ وانفهِ وفمهِ وصدرهِ ويديهِ ورجليهِ. ويشهد بذلك انّ هذه الاعضاء بأسرها شاركت النفس الناطقة في سائر افعالها. وزد على ذلك انّ بها تتمّ زينة الجسد. وكذا قُلْ عن الدماغ والقلب والرئة والكبد والامعاء وما اشبه ذلك. واذا كان الامر بهذه الصفة فيلزم ايضاً ان تعود الذكور والاناث بصورتها الحقيقية وذلك لأنهُ من المُحال ان لا يُفرَق بين النساء والرجال وكلا الفريقين خلقة الله

الفصل التاسع والخمسون

في بيان انّ كافة الاجساد تعود بتمام القوَّة وكمال الصورة

الدليل على ذلك انّ القيامة تعيد للاجساد ما سُلِبَتْهُ بخطيئة ابوينا الاوّلين لمَّا تجاوزا الاوامر الالهية. وكان آدم وحوَّاء قد خُلقا كاملَي الصورة والطباع والأشكال. والمرجَّح ان الله خلقهما بكمال السنّ وعمرُهما ثلاثون سنة فتقوم الاجساد كذلك في تمام قوَّتها — ولنا دليل آخر على ذلك وهو انّ السيّد المسيح المخلّص لما اراد تجديد الصورة الانسانية بالصبغة الاردنيَّة اتى الى يوحنا ولهُ من العمر الزمني ثلاثون سنة. ونحن نعلم انّ العماد عندنا هو

عودنا الى الصورة الآدمية القديمة يخوّلنا كياننا الاوّل قبل ان تدخل عليهِ العوارض

الفصل الستّون

في بيان انّ الجسد عند رجوعهِ الثاني يكون متّصفاً بصفات الارواح

والدليل على ذلك انّ الجسد يتجرّد عن سائر العوارض التي كان موجودًا بها في هذا العالم. وعند زوال هذه العوائق تبرز منهُ افعال كاملة فيخرق الاجسام الكثيفة ويطفو على المياه ويسلك بالفضاء لانّ الاثقال الهيولانيّة والاعمال الجسمانية تبطل فيهِ. ونقول ايضًا انّ النفس بعد القيامة تصير جلبابًا للبدن ويشرق شعاعُ نورها الذاتيّ على سائر حواسّها الظاهرة والباطنة فيستنير جميعهُ بنورها المُشرق عليهِ ويصير المرء كلّهُ بمنزلة المدرك لجميع ما في الوجود على النظام الموجود. ولذلك لا يحتاج الانسان الى الالفاظ المجسّمة والكلمات المستعملة بالحروف وآلات الصوت كقصبة الرئة والحنجرة والحلق والشفتين وغير ذلك. وانّما يكون الخطاب روحانيًا لانّ الكلّ جليّ للكلّ والجسد غنيٌّ عن الخطاب والجواب. وكذلك يمتنع في حقّ الجسد وجود الشهوة والغضب والخيال والضّعة والبغض والعداوة والكبرياء كما انّهُ يمتنع عنهُ الزيادة والنقصان والكثافة والثقل والطول والقصر والمرض والتقطيع والانحلال والسِمَن والجوع والشبع والسّير والتعب والاكل والشرب والوقاع والتناسُل. وانّما الدواعي التي تعظم عندهُ فهي الرأي والذهن والنطق والذكر. ويبطل فعل اليدين والرجلين. وكذلك لا ينمو الشعر والاظفار وتبطل المآكل والمشروبات الجسمانيّة والملذّات البدنية. وانّما الملذّات كلّها تكون روحانيةً. وكذا الملابس لانّ النفس بلطف نورها وجمال صورتها تكسو بدنها بالبهاء الدائم والكمال المؤبّد

الفصل الحادي والستّون

في بيان انّ العالم المزمع المذكور بين اهل العلم انّما هو عالم الافلاك (١

نقول انّ الله تعالى اتقن صُنع عالم الافلاك وابدع صورة جوهرهِ في غاية الكمال والجمال فلا يليق بان يقال انّ الباريء تعالى يبيد هذا العالم ويخلق غيرهُ لانّ الله عزّ وجلّ

١) انّهُ لأمرٌ ثابت انّ الله اعدّ للابرار منزلًا يتجلّى بهِ لهم ويمتّعهم بالافراح السرمديّة ولكن لا يتّفق اللاهوتيّون في تعيين هذا المكان أهو فلك من الافلاك او منزل آخر يخلقهُ الله فكل ذلك من الامور المجهولة. وما قالهُ ابن العبري في هذا الباب محمول على بعض المزاعم التي ذهب اليها قومٌ من الاقدمين

لا يعدم شيئًا من اعماله فكم بالحري الاشياء البسيطة مثل النفس والافلاك (١ والملائكة. وانّما يُنسَب سبحانهُ الى الجود والانعام فلذلك يُديم عالم الافلاك ليرفع اليهِ الابرار والمؤمنين ويُبقي عالم العناصر ليُخلِد فيهِ الخاطئين. ولكن ستبطل الحركات والتأثيرات من العالَمين وسبب ذلك عدم الافتقار الى الحوادث الصادرة عن تأثيراته وقد يشهد بذلك اشعياء الماجد بقولهِ عن الباريء تعالى: خلق سماءً جديدةً وارضًا جديدةً

الفصل الثاني والستّون

في بيان المكان الذي تجتمع فيهِ الناس يوم الدين

اذا حانت الساعة التي يظهر فيها السيد المسيح على وجه البسيطة مع ملائكتهِ الاطهار سيجتمع الناس في لمحة البصر في بيت المقدس وتفترق الابرار الى جهة اليمين والاشرار الى جهة الشمال بلا حساب ولا خطاب وانما الحساب يكون للخطأة فقط ويُفرَز التائبون عن الخاطئين المستمرّين في آثامهم ثم يُرفَع الابرارُ الى العالم العقلي ويُترك الاشرارُ في العالم السفليّ ويُبسَط عليهم عنصر النار. وهكذا يكون دوام النعيم وعذاب الجحيم الى ابد الابدين لا نهاية لهُ ابدًا ولا غاية تمنعهُ. امّا الابرار فانهم يشتركون في دوام البقاء بلا فناء وفي المعرفة الكاملة والعلم التامّ بالثالوث المقدّس فيكون ذلك للابرار لذّتهم وتلك للاشرار آفتهم. ولله الحمد عودًا وبدءًا آمين

انتهى كتاب النفس لابي الفرج

(افادة) لم نستوفِ في الصفحة ٢٢ ذكر ما نُشر بالطبع من شرح ابن العبريّ للاسفار المقدَّسة المعروف بكنز الاسرار (ܐܘܨܪ ܪ̈ܐܙܐ) فوجدنا ذلك مجموعاً في مجلّة الآداب الشرقية (Oriental. Litteratur-Zeitung, Okt. 1898 S. 326) فمن اراد التفصيل فعليهِ بها. ونكتفي بذكر شرح ابن العبريّ على الانبياء الصغار الاثني عشر وقف على طبعها الدكتور موريتس (Moritz) في ليبسيك سنة ١٨٨٢

اصلاح بعض اغلاط في الطبع

ص ٢٢ س ٦ ܐܘܨܪ ܪ̈ܐܙܐ والصواب ܐܘܨܪ ܪ̈ܐܙܐ = ص ٢٣ س ٣ Steinhart والصواب Steinhardt — س ١٠ ܡܒܝܢܐ ܘܡܩܕܘܡܐ والصواب ܡܣܝܢܐ ܡܩܕܘܡܐ

---

١) قد وهم ابن العبري بقولهِ ان الافلاك بسيطة كالنفوس والملائكة وقولهُ هذا من جملة الآراء القديمة التي ثبت اليوم فسادها

فهرس

لترجمة ابن العبري وفصول مقالتهِ في النفس